ملف
السبعينات

"شارع المتنبي"

حكاية البغاء في لُبنان

حقائق
وارقام

انطوان بارود

الاخـــراج : انطوان عبده جاموس .
صمم الغلاف : ابرهيم عيد .

ملف السبعينات

رقم الاصدار (١١)
تموز (يوليو) ١٩٧١ .

التوزيـــع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ش.م.ل.
بيروت ـ ص.ب : ٦٠٨٦ ـ ت : ٢٤٠٦٧٠



"شارع المتنبي"

حكاية البغاء في لبنان



أنطوان بارود

قيل ، والله أعلم ، أن ليل السادس عشر من آذار ١٩٥٦ ، لما ضربت تلك الهزة الارضية لبنان ولم تغرق بيروت للمرة التاسعة ، نزلت سيدات السوق العمومية من بيوتهن الى الشارع ، فركعن وتضرعن وسألن الذي فوق :

ـ « شو عاملين معك يا الله » ...

... بينما لم أر حجرا عتيقا واحدا في سلالم بيوت الله ، محفوفا بخطوات الداخلين الى الصلاة أو التفرج أو الضجر ، مثلما كل أحجار سلالم بيوت البغاء البيروتية التي التهمتها نعال قاصديها ليالي أخذهم الشوق .

سامح الله الشوق .



السوق العمومية أيام زمان

« تلقت الحياة أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكوفي الذي يكنى بأبي الطيب ويلقب بالمتنبي ، في محلة من محال الكوفة تعرف بكنده ، وذلك سنة ٩١٥م » .

ابو الطيب المتنبي ، الذي « ملأ الدنيا وشغل الناس » وعقّد شعراء العربية .. والذي قبل أن يدّعي النبوة قال متواضعا :
« وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي »

أبو الطيب المتنبي العظيم ، احتقرته بيروت — بقرار لمجلس بلديتها الممتازة يحمل الرقم ١٠١ وتاريخ ٢٩ آذار ١٩٦٦ — فاطلقت اسمه الكبير على زاروب صغير يستحي على هامش السوق العمومية .

ومنذ ذلك المساء ، كبر الزاروب الصغير ليجتاح السوق الكبيرة التي اشتهرت آنذاك بذاك الاسم ، والتي أن طعنت في العمر خلف شهداء الساحة ، فلأنها شبت وشهقت وشردت ، وغمرت خصر بيروت ، كل خصر بيروت ، والحكاية طويلة ...

يقول السيد رشيد علي شعبان ، (٧٢ سنة) ، الشهير باسم « ابو عبد الجرس » ، والذي يملك دكانا للمشروبات الروحية في السوق العمومية منذ نحو خمسين سنة ، أن والده الذي كان « شيخا للعتالة » والذي عاش نحو ٩٩ سنة ، كان يخبره أن السوق كانت اول ما كانت في « سوق الخمامير » ، أي حول بناء سينما ريفولي اليوم ، ثم انتقلت من هناك الى محلة الصيفي . وبعدها ، انتقلت واستقرت وترحرحت في مكانها الحالي عام ١٩١٣ ، أيام تركيا .

يومها ، يضيف ابو العبد ، كانت السوق في ربيعها الجميل ، وكان الخان ، الذي قبل ذلك كان ديرا عتيقا للآباء اليسوعيين ، ولا تزال آثاره باقية حتى اليوم — يغص بنزلائه المتعبين من كل مكان .

وعام ١٩٢١ ، يزيد محدّثي ، كانت السوق في عصرها الذهبي ، لما كان عدد بنات المنازل المفتوحة للضيوف زهاء ٨٥٠ « ابنة عرب » بين سورية وفلسطينية ولبنانية ، وما لا يقل عن ٤٠٠ أجنبية بين تركية ويونانية وفرنسية — أيام كانت الفرنسيات يأتين مع الجيش الفرنسي الذي كان في ضيافتنا .. الجيش الفرنسي — كما يؤكد الجرس — الذي كان — من جملة ما كان — يستحلي بعض الفتيات الفقيرات اللواتي كنّ بعد أفعاله بهن يصلن الى السوق .

لكن الاتراك سبقوا الفرنسيين الى بيوتنا المفتوحة الابواب.. من زمان، لكنهم كانوا لا يأخذون ضريبة من المومسات ، لانه عيب أن يودعوا الخزينة العثمانية أموالا حراما . وكانوا يجبرونهن على تعليق اشرطة حمراء في أسفل فساتينهن حين يشأن الخروج من بيوتهن . الى أن جاء الفرنسيون فمزقوا الاشرطة التركية ووضعوا ضرائب وكتبوا مخالفات عبر القوانين .

وكبار مالكي البنايات العمومية — التي ليست ملكا لله وحده .. هم عائلات : شرتوني ، سعد ، واكيم ، سليم ، مرعي ، سنو ، فضح‌الله ، فرح ، صعب ، ووقف الروم .

والاهم ، وعبر القربى التي تربط السيد شعبان بحكايا السوق ، كانت أسماء

نجماتها الشهيرات تتوالى كالآتي : هيلانة عواد ، زبيدة المزرعانية ، لوريس شليطا ، خديجة لقو ، نطومة الحلبية (كانت أيام الاعياد ترش عطرها على الشباب وتفرق وتعطي و« تقيم وتحط » ..) فريدة ام عبده ، بديعة ، ماريكا سبيريدون (أيام الفرنسيين غطّت عالكل) ، ونالنتين المعراوية .

واما نجماته الاخيرات الحاليات الباقيات من عيون الماضي ، فهن « عالمظبوط » : هيلانة نقوز ، فاطمة حسن ، وهدى الحلبية .

ويختم ابو عبد الجرس خبرته في احوال جارات الماضي ، بأن بعضهن صار صاحب بنايات ، وبعضهن طلب السترة ، وبعضهن اخذه الله .

ويضيف «شيخ الفنانين» عيسى النحاس (٨٠ سنة) على معلومات ابن زميله « شيخ العتالة » — انه لما جاء الى بيروت عام ١٩٠٤ ، وكان يومها صغيرا ، سمع ان هناك ما يسمى « المنزول » حيث « نزلة انبور » اليوم . ولما كبر قليلا وفهم كثيرا ، انتقل « المنزول » الى مكانه الحالي الذي كانوا يسمونه « وراء البنك » — اي وراء دائرة الشرطة اليوم ، التي كانت قبل ذلك البنك العثماني .

ويذكر أن أشهر نسائه كانت لطيفة زكا .

اما الاسعار اللامحدودة لتلك الليالي ، فكانت تراوح بين نصف بشلك ومجيدة .

وكان البشلك يساوي ثلاثة قروش ، والقرش ثلاثة متاليك ونحاسة . وكانت اوقية لحم الخروف بقرش واحد فقط لا غير .

وبينما كانت احداهن ، وزنها حمولة شاحنة مخصصة للنقل الخارجي ، بنصف بشلك ، كانت الست لطيفة زكا بمجيدة : اجرة عيسى النحاس في يومين !

ويسترسل النحاس فيقول ، أن السوق كانت تمج عجا في صباها . وأن بناتها أيام الحرب والفقر والجوع كن يستعطين اي رجل قادر على الطرقات . وأنه قبل الحرب وبعدها ، كان ثمة بيت للغلمان يديره رجل اسود يعرف باسم يوسف العبد .



وماذا بعد ؟

لم نبدأ الكلام بعد ..

او أن الكلام هنا ، للسيد « عبده » :

« يالله يا شباب ما في غير هالبنت » ...

يختصر الشاطر « عبده » كلاما كثيرا .

لم يعد في بيته العريق بحريم الليالي الملاح غير هذه البنت . « عبده » محظوظ في بيته الذي لم يقفل بعد . المفاتيح اكلت كل الابواب المجاورة . تسكرت كل ابوابهن ، ولم يفط العشب أدراجهن ولا الشبابيك ولا المداخن . حتى العصفور الدوري راح عن قرميدهن الاسود المكسّر المفجوع ، ولم تبق في البيت المحظوظ امرأة حد امرأة ، امرأة تخبر امرأة ، امرأة تواسي امرأة . كلهن ذهبن مع الريح أو النوم في خط الدفاع الثالث او الله . لم يبق في البيت المهزوم في



أول السوق الا « عبده » المنكوب الوجه و« البنت » الاكبر من امها والشباب المقطوع .. من شبق الليل ، انه « بيت جورجيت » .

« عبده » يكرر نداءه :

« يا شباب ما في غير هالبنت » .

يستحي الشباب ويقومون منصرفين الواحد تلو الآخر الى بيت آخر ، ولا تستحي « البنت » التي تبقى تحدق في ماضي عينيها المبحوح بالزهو الذي هاجر من زمان . تتثاءب ، تلعب بأصابعها ، تتسلى ، تفجر تجيل عينيها ، تشعل سيكارة بسيكارة . تبلع كل دخانها وكل دخان البيت فيجتاحها السعال و.. لا تحلم .

الشباب النازلون يصعدون بيتا آخر . يدخل الواحد تلو « زميله » بتهذيب .

ينظرون في عيون بعضهم . يتنحنحون . يحدقون في عيون السيدة الباقية من الماضي خلف نرجيلتها . الوشم يحتل معصميها كما أساور الذهب القديمة . انها «البترونة» بلغة المهنة . مبسم النرجيلة يغفو في فمها ، وأصابعها تراقب ورق الشدة على الطاولة. انها تشوف حظها . تقرأ مستقبلها . تريد أن تسبق الزمن .

عبده يأتيها بحصتها من الغرفة الشمالية. ثم يأتيها « بالناره » . ثم يرتب الكنبايات العتيقة بعد الضيوف الذين ذهبوا وقبل الذين هم في الانتظار . عبده هنا يتبسم . ابنتها « مرموره » تغادر الغرفة الشمالية ، الى المطبخ ، الى الغرفة الشرقية الجنوبية معتدلة . « مرموره » نشيطة ومرغوبة ومحبوبة وتشغل غرفتين .

يرجع « عبده » من الغرفة الثانية الى سيدته وفي يده حصتها . الشباب ملوا النظر الى التلفزيون . رجعت « مرموره » من غرفتها الشرقية ، الى المطبخ ، الى الغرفة الشمالية . تتبسم للموجودين وتَعِدهُم بالنصر القريب وتتلوى وتطقطق بكعبَ قلشينها وتسأل من غرفة لغرفة :

« دور مين هلق » ..

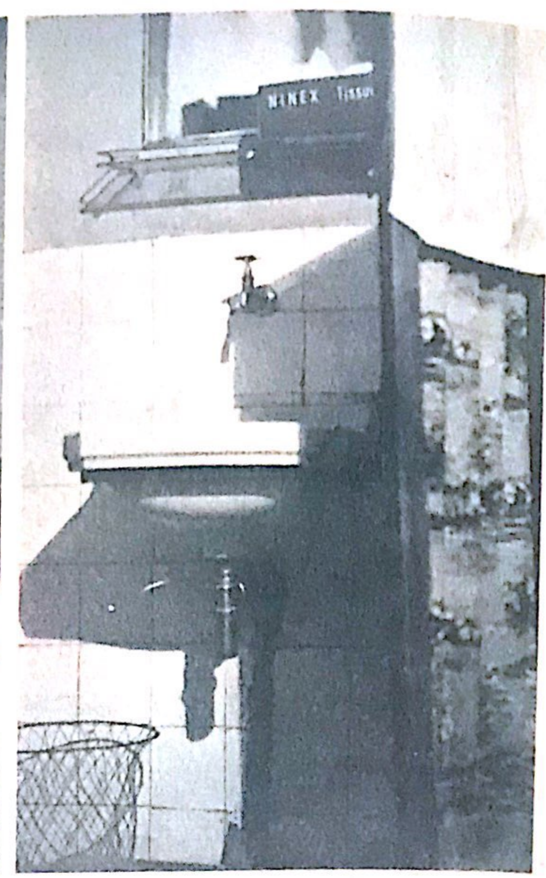
ويقصد البعض البيت الثالث الباقي في آخر الشارع . درجه صعب ومليء بالمخاطر . كان يجب أن يكتبوا على جدرانه — بدل كل الشعارات المكتوبة — « احذروا الانزلاق » ..

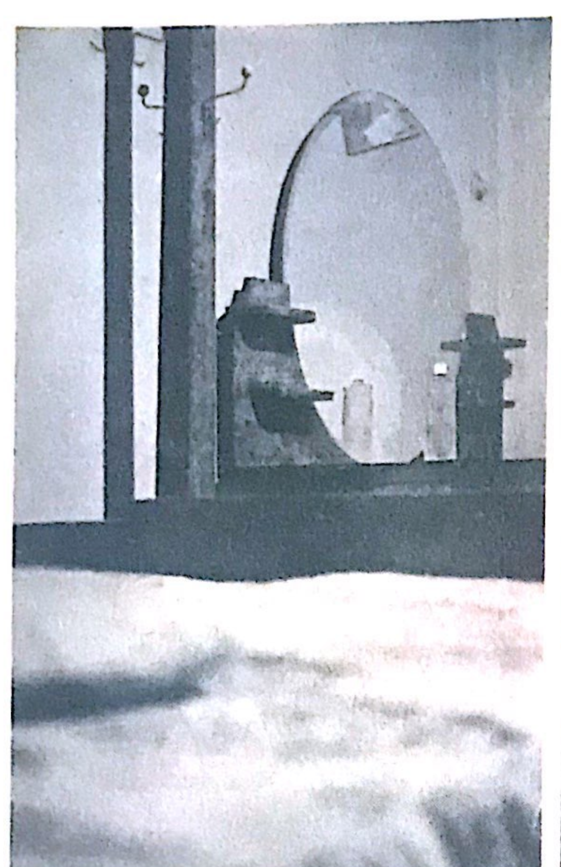
البيت الثالث يغص بالصراخ والزعيق والشتائم ، فضلا عن « اسطوانات بيضافون للاستاذ عبد الوهاب والاستاذ عبد الحليم حافظ » ، ثم بائعي البضاعة والشاي واليانصيب و« المالبورو بالربع » .

هنا التلفزيون في غرف النوم . هنا ضحكاتهن شكل آخر . هنا احداهن تغني « لحالها » : « انني أعطيت ما استبقيت شيئًا » .

في البيت السادس بعض صور زعماء العرب ، وبعض صور سيدات المكان وهن بعض صبايا . أطرف الصور واحدة لاحداهن تمثلها في مشهد من فيلم « لواحظ » واخراج حسن الامام . عتبة غرفتها الرخامية اكلها شوق الجمهور العربي . الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط تدق آخر دقاتها في عنق الليل .







ويمتد عنق الليل بنهم صوب بيت آخر لا يحمل حيطه آرمة . سيدته لا تملك ثمن آرمة. غير انها عوضت عن ذلك «بنضوة» حصان علقتها على الباب مثل مقهى « الهورس شو » تقريبا . وعوضت ـ على الفضوليين على الاقل ـ اكثر فأكثر في صدر البيت حيث شعارها المكتوب : « عين الحاسد تبلى بالعمى » ، مع صورة سهم يخترق العين في الكف .

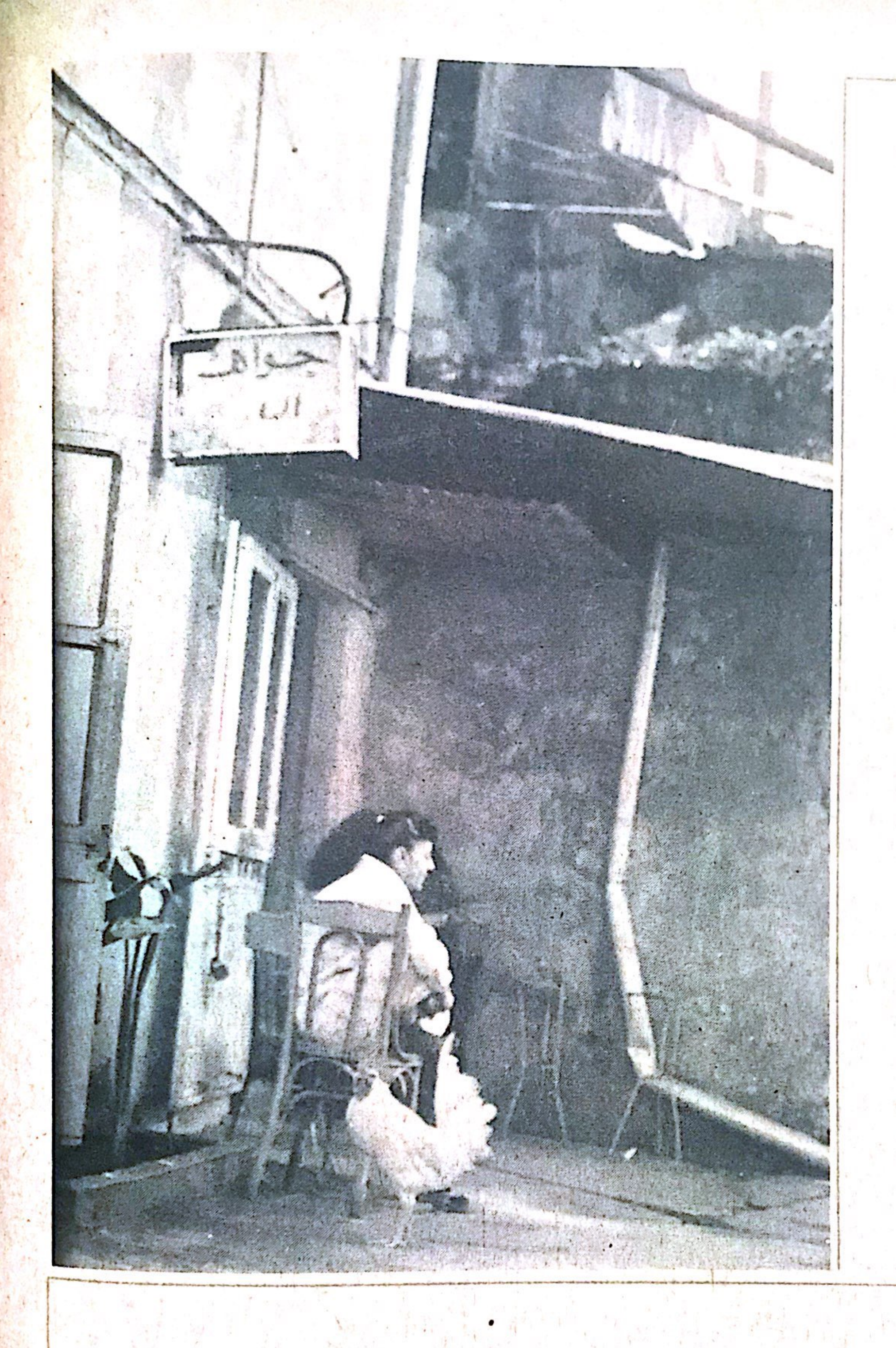
هذه لا أحد يعرف اسمها . يُسمع من مطبخها هدير بابور الكاز . الشباب من على عتبة الباب يطلون ويذهبون. لا تعجبهم الست . انها لم تعد صبية قالوا . لا تزال ربما من عهد « الخمامير » . لا تزال تتحلى بالهندام القديم ذاته مع شريطة حمراء اضافية في شعرها الاحمر على أصفر . لا تزال تتزين كما زمانها الحاكي . كما نجمتها المفضلة زمان السينما الصامتة ، زمان عزها السحيق . شفتاها بأحمرهما الفاقع من الانف حتى الذقن راعبتان . احدهم يقول نكتة « زعرا » . تعجبها . تضحك . تظهر لثة اسنانها بعد ان يسقط طقم الاسنان العتيق . أمر راعب . نروح .

التسكع في الزواريب الخلفية لذيذ برغم رائحته . كل الابواب موصدة ما عدا واحدا تجلس على اعتابه احداهن يجلس الى جانبها كلب . لم يعد لها اوفى . . .

وها أخيرا بيت ماريكا . البيت الكبير الذي ما زال يأكل على حساب الاسم الكبير الذي « ملأ السوق وشغل الناس » . ماريكا اليونانية العريقة الشهيرة ، التي اعطتكن عمرها ـ سيداتي آنساتي ـ منذ ثماني سنوات عن ٥٤ حزيرانا . كم كانت « ترحم » . . رحمها الله .

ماتت السيدة الجميلة وصاحبة اكبر آرمة في السوق حتى الآن . ماتت فقعا . كان في ودها أن تعيش أكثر كي « ترحم » اكثر .

كانت رفيقتا ماريكا الحميمتان في الكفاح والنضال والجهاد سوزي وبيانكا . كن يفترشن بيتا واحدا ما زال يحمل اسماءهن حتى اليوم . وكن متفقات ومتكاتفات



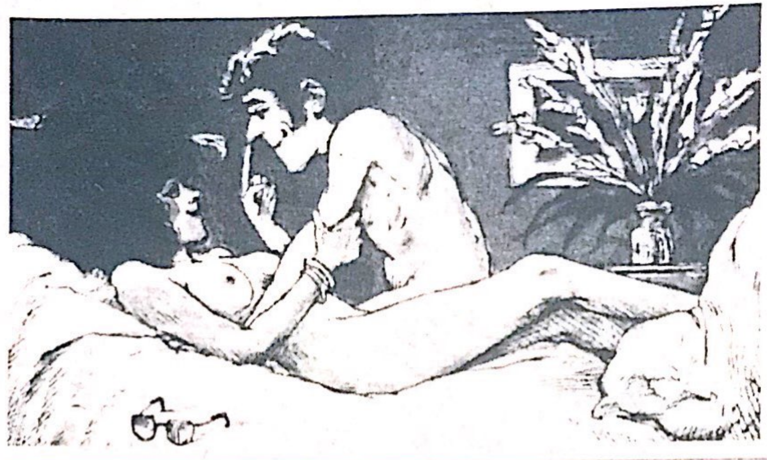
ومتحالفات ثلاثيا ... لانقاذ البيت والسوق العمومية !

وبعدما انتقلت ماريكا الى رحمته ، اعتزلت سوزي بعدما قدمت استقالتها الى غير رجعة ، وظلت بيانكا يتيمة البيت الكبير لتتسلم دفة « القيادة » بلا « رحمة » .

بقيت الست بيانكا ، لترعى بناتها الباقيات في البيت وتقودهن . بناتها اللواتي لم يأت نصيبهن بعد ، واللواتي ما زلن يختصرن بقايا البورجوازية السوقية التي انتهت فقيرة بعدما سحقتها بيروت .

شاخت السوق التي دقّ بها الفقر ، فاتسخت ربطة عنقها وسقطت على الارض .. وسقط الذهب عن اسنانها العتيقة .





في ٦ شباط ١٩٣١ ، أيام الانتداب الفرنسي ، وقع رئيس الجمهورية شارل دباس قانونا يحمل عنوان « حفظ الصحة العامة من البغاء » ، ما زال معمولا به حتى هذه اللحظة .

تقول المادة الاولى من القانون :

« البغاء مهنة كل امراة تشتهر بالاستسلام عادة الى الرجال لارتكاب الفحشاء في مقابل اجر من المال سواء كان ذلك سرا او علانية » .

وتقول المادة الثانية :

« كل امراة تمتهن البغاء تسمى مومسا » .

وتختم المادة ٧٥ بعبارة « يعتبر هذا القانون مرعي الاجراء بعد شهر من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية » .

اما بقية المواد المهمة ، فهي تقول تباعا :

« — كل محل تسكنه المومسات ولو موقتا او يترددن اليه لارتكاب الفحشاء يحسب بيت دعارة .

— تقسم بيوت الدعارة قسمين : البيوت العمومية ، وبيوت التلاقي .

— يحظر الترخيص للذكور أن يفتحوا او أن يديروا بيتا للدعارة .

— لا يرخص بفتح بيت للدعارة الا للمومسات اللواتي تجاوزن الخامسة والعشرين من عمرهن .

— لا يجوز للمومس أن يكون لها اكثر من بيت واحد للدعارة .

— لا تقبل اي امراة في بيت دعارة ما لم يكن لها من العمر احدى وعشرون سنة كاملة . (مثل قانون الانتخابات النيابية) .

— لا يجوز البتة خروجهن أيام الآحاد والاعياد الرسمية ، ويحظر عليهن أن يرتدن المجتمعات العمومية كالقهاوي والحدائق العمومية ، وأن يسترن وجوههن بالحجاب .

— لكل مومس الحرية التامة بترك مهنة الدعارة اي وقت شاءت ، ولا يجوز لصاحبة البيت أن تستعمل وسائل الاكراه والتغرير لاستبقائها ، او أن تضبط ثيابها وحاجاتها الشخصية ولو كان لها في ذمتها دين مستوجب الاداء .

— على كل مومس أن تخضع للمعاينة الطبية مرتين في الاسبوع . مصحوبة بدفتر من دائرة البلدية يلصق عليه رسمها الشمسي وتقيد فيه نتيجة كل معاينة طبية . وتعين البلدية البدل الذي تتقاضاه عن الدفتر المذكور .

— على الاطباء المكلفين مكافحة الامراض التناسلية أن يهتموا باتخاذ الوسائل الفعالة التي يرونها « لمصلحة الجمهور » ولصيانة الصحة العامة .

— كل امراة تستسلم لاي كان لاجراء الفحشاء بصورة مشهورة في مقابل شيء من المال وتحاول التخلص من احكام قانون البغاء تعتبر انها تتعاطى الدعارة السرية . وهذه ممنوعة بتاتا .

— كل امراة توجد في حالة الدعارة السرية توقفها الشرطة وتساق فورا الى مدير دوائر الشرطة الذي يأمر : (...) .

— تعاقب بموجب المادة ٧٢ من هذا القانون النساء اللواتي يرتكبن سواء في الطرقات او في الشواطىء والمنتزهات والساحات او من النوافذ « جريمة »



التحرش المنصوص عليها في الذيل الاول من المادة ٢٠٢ من قانون الجزاء . تطبق العقوبات نفسها على المتحرشات اللواتي يتجمعن في الطرق العامة والارصفة بقصد استغواء المارة .

— يعاقب بالسجن من شهرين الى ستة اشهر كل رجل غير ذي مهنة معلومة ثبت عليه انه اتخذ القيادة بالاغواء وسيلة للكسب ، ويوضع تحت مراقبة الشرطة الشديدة وفاقا لأحكام المادة ١٤ من قانون الجزاء .

— كل صاحبة بيت عمومي أو تلاقي أو بانسيون مشبوه تقبل بارتكاب اللواط عندها ، تعاقب بالحبس من اسبوع الى ستة أشهر وباقفال محلها نهائيا .

— من اغوى امراة او بنتا قاصرة لا يتجاوز عمرها ثماني عشرة سنة لارتكاب الفحشاء فزين لها طريق الشر والفساد سواء بالوعد أو بالوعيد أو بالتضليل أو بالاكراه يجزى بالحبس من ثلاثة أشهر الى سنتين . واذا حدث الاغراء من قبل الاب او الام او الولي او الوصي او بواسطتهم أو دفعوا آخر لاجرائه فلا يجوز أن تقل العقوبة عن السنة . ويجازى محاول الجرم كفاعله ولو كانت الافعال التي تشكل الجرم وقعت في « بلدان اخرى » مختلفة .

— تلغى كل الاحكام المخالفة لهذا القانون » .

هذا القانون ، الذي ما زال معمولا به رسميا منذ ٤٠ سنة وحتى هذه اللحظة ، اظنه ، لا يسري الا فقط ، على اولئك البائسات الفقيرات المقطوعات واللواتي بلا « ظهر » .. على كتف المتنبي المنكود الحظ حتى في شارعه البيروتي .

أولئك « المومسات » وحدهن ، اللواتي كن ليالي زمانهن الذهبي يختصرن الدعارة الوطنية ، أمسين بعد كر سبحة الليالي وفرّها صوب كل بيروت والمناطق ، زهاء ١٦٠ مخلوقة ، تراوح أعمارهن بين ٣٠ و٩٠ سنة ، بين ناشطة ومتقاعدة وبين بين ..

مئة وستون امراة ، يكافحن في سبيل الرغيف الاسود القاسي والبقاء الاسود الاقسى ، ويحلمن لو يحلمن ، في بقية مباغ باقية في بعض بنايات قديمة كل ايجاراتها رخيصة ..

احلى ما كان يُعمل لهن من زمان ، ان يقبض على المستقلة منهن خارج المكان ، لتعاون شقيقاتها في السوق المستقلة هي أيضا .

وكل ما يُعمل لاجلهن اليوم ، عبر قرار جديد ، ان على كل امراة تطلب مغادرة المكان ، لا يحق لها العودة عن قرارها بعد مرور ٢٤ ساعة على ذهابها . وانه ممنوع دخول نساء جديدات . وانه بوفاة « البترونة » يقفل البيت بالشمع الاحمر .. وتوزع البنات على بيوت اخرى .

اما عندما تشيخ السيدة التي كانت جميلة ، فانه يحق لها الموت خارج السوق .. واذا كانت « مقطوعة » فانها ترسل الى مأوى العجزة التابع لدير الرجاء

الصالح في بيروت . اما اذا كانت احوالها المادية حسنة ، فانها تغادر الى ضيعتها مثلا ، لتجيبهم لما يسألونها بأنها كانت في اميركا ... عند زوجها بوب او كيرك او بلي !

مئة وستون امرأة اخيرا ، هن في مجملهن لبنانيات، وفي غالبيتهن مسيحيات، وهن بعد مؤمنات : يزين سطوحهن وشرفاتهن والشبابيك بالشموع الملونة ليلة عيد الصليب .. ويعملن مغاور حنونة للطفل الغريب في كل ليلة عيد ميلاد ، في كل ليلة برد يولد فيها المخلص ...

اما المستقبل الذي هو في يد الله دائما ، فانه بالنسبة الى السوق هو في يد الاقفال تدريجا وعلى المدى الطويل . لانه اذا اقفلت مباشرة وقسرا ، يحق للمومسات الباقيات – كما يقول احد المسؤولين – طلب تعويضات قد تكون هائلة ، وفوق امكان موازنة الدولة اللبنانية !

وهنا ، نذكر أن سوق طرابلس العمومية والقديمة ايضا ، قد الغيت أيام كان السفير الحالي منير تقي الدين محافظا للشمال في عهد الرئيس فؤاد شهاب .

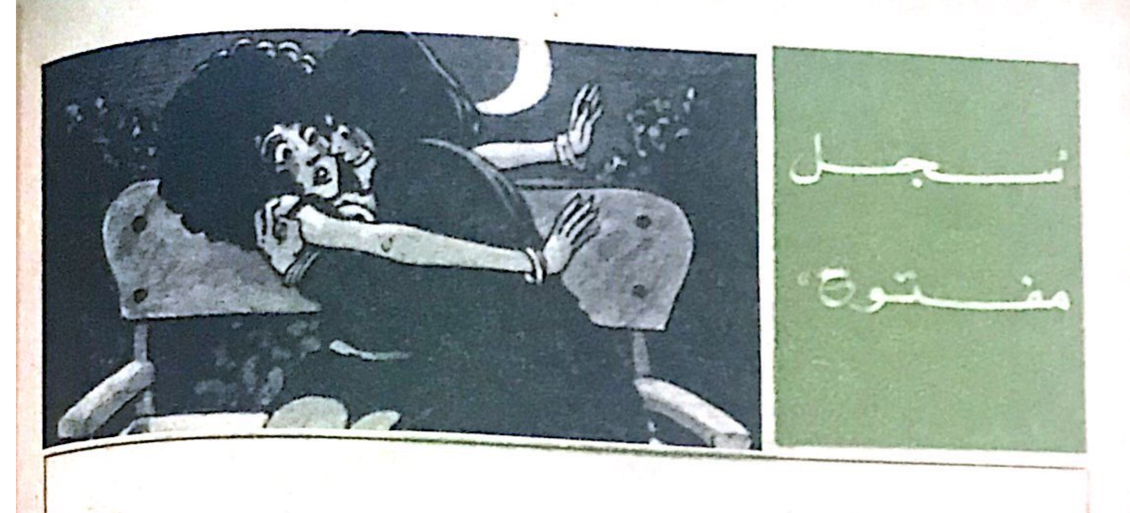
وخارج السوق لا وجود اطلاقا للمومسات المرخصات . كما ان مهنة الرصيف ممنوعة قانونا ، وايضا البيوت السرية والشبكات الشهيرة . غير أن القانون ورجاله لا يستطيعون ضبط « كل المخالفات المعينة » .. بالاضافة الى أن الدوائر المختصة – وهنا بيت القصيد – بين سياحية وغير سياحية ، توعز بغض الطرف عن بعض ما يسمى « مخالفات » ، تشجيعا للسياحة اللبنانية والسياح غير اللبنانيين.. بينما لا تغض الطرف فحسب ، وانما « تبحلق » في عتمة الستريو بحثا عن يد عاشق (لبناني بروليتاري) على كتف صديقته ، ليقول له صوت الموظف المذهب الاسنان : « شيل ايدك عنها يا ... » .

مئة وستون امرأة ، ما زالت تعرفتهن الرسمية كما كانت عام ١٩٣١ . وهي معلقة الزاميا وراء الابواب ، وتراوح قانونا بين ٣ ليرات و١١ ليرة . اما اذا ارتفع السعر برغم قانونية التسعيرة ، فلأن الغانيات « المجتهدات قانونيا » اضفن اليه بدل غلاء المعيشة في الوقت الذي تجاهله قانونهن .

قانونهن الذي سن لهن : ليالي كانت للمومس البيروتية المحترمة اسنان بيضاء جميلة .. سيدتي .

وعلى هامش المجتمع السوقي ، يقال ان ثمة أكثر من نجم مجتمع لبناني تزوج من السوق ، بينما لم يعرف ولا قواد – من السوق طبعا – تزوج من نجمة مجتمع بيروتية ...





المومس البيروتية اليوم :

١ — ما هي ساعات عملها ؟

٢ — كم تحصل وفي اي السبل تنفق دخلها ؟

٣ — ما هي نوعية الزبائن الذين يتعاملون معها ، وما هي العلاقة بينها وبينهم ؟

٤ — بمن ترتبط مهنيا ، وما هي طبيعة هذا الارتباط ؟

٥ — ما الذي تفعله عادة لتروح عن نفسها ؟

٦ — ماذا تحب في مهنتها وماذا تكره ؟

٧ — ما هي بعض مشاريعها للمستقبل؟

وتساؤلات اخرى ...

★

١ — ان معدل ساعات عمل المومس اللبنانية يقارب على العموم تسع ساعات ونصف الساعة . ويراوح عدد ساعات الدوام من ٣ الى ١٦ ساعة في بعض الحالات . الا ان الاغلبية تشتغل من ٧ الى ١٠ ساعات في اليوم . ويبدأ العمل بين الرابعة والسادسة بعد الظهر ، وينتهي عادة مع ساعات الفجر الاولى . يبدأ العمل تدريجا ، ثم يتزايد بعد التاسعة الى ان يصل الى ذروته بين العاشرة والحادية عشرة ليلا . ويتراكم بشكل خاص يومي السبت والاحد ، وكذلك أيام الاعياد ... الرسمية .

اثناء ساعات العمل التسع ، تقوم المومس بمضاجعة واحدة كل ساعة على التقريب . وقد تختلف كمية العمل وكيفيته من مومس الى اخرى بشكل واضح ، نظرا الى الفارق في السن والاتصالات و.. المزاج .

وتشير المعلومات — غير الاكيدة — الى ان المومسات العموميات يمارسن البغاء (بالنسبة الى عدد الزبائن) اكثر من المومسات السريات وغير السريات .. فهناك دراسة قدر فيها عدد الزبائن الذين تستقبلهم المومس في لندن بين ٢٠ و٢٥ زبونا في الاسبوع . لهذا ، يبدو ان عمل المومس العمومية في منطقة البرج يعادل ثلاثة اضعاف عمل المتسكعة في حي بيكاديللي الشهير . ولا يمكننا اعتبار المومس « المرخصة » في بيروت قليلة الشغل ، برغم ان اغلبية المومسات « المرخصات » بدأن يتذمرن من مستوى العمل الذي اخذ يتدنى .

٢ — المومس المرخصة في بيروت تحصل ، عموما ، ما يقارب الخمسين ليرة في اليوم الواحد .

واذا نظرنا الى ماضي الفتيات الاقتصادي والاجتماعي ، والى خبراتهن المهنية المتدنية ، يتبين لنا أن دخلهن من هذه المهنة اعلى بكثير من دخلهن فيما لو اشتغلن في اية مهنة اخرى. ولما كانت هذه المهنة مريحة ومن دون راسمال ولا موهبة الى هذا الحد ، فانه يحق لنا — من جهة — أن نكرر قول البروفسور كنغزلي ديفز بأن « السؤال الطريف ليس : لماذا يمارس البغاء هذا العدد الكبير من النساء ؟ بل : لماذا لا يمارسه الا هذا العدد القليل فقط » ؟

ولكن ، من جهة ثانية ، فما قاله ديفز من زمان قد لا ينطبق علينا اليوم ، وربما لو عاش اليوم لغيّر رأيه ..

اجاب البروفسور ديفز عن هذا التساؤل بقوله : « ان ربح المومس في اساسه ليس مكافأة على عمل او خبرة او راسمال او ابجار ، بقدر ما هو مكافأة على ضياع المنزلة الاجتماعية والاحترام الاجتماعي » .

.. وايضا ، لو كان الاخ ديفز معنا اليوم ، لكان ايضا غيَّر رأيه !

ان الدخل البالغ ٥٠ ليرة يوميا دخل اجمالي بالطبع ، ويجب أن تحسم منه مصاريف اخرى متعددة . وأول المصاريف التي تدفعها المومس المرخصة هي العمولة التي تتقاضاها منها « البترونة » ، وتبلغ عادة ٥٠ في المئة من المبلغ الاجمالي الذي تحصله المومس . هذه « العمولة » هي الجزء الاكبر من مصروفهن اجمالا .

وثمة مصروف باهظ آخر هو الثياب مثل كل النساء .. وخاصة ثياب النوم — خلافا لكل النساء .. ثيابهن الداخلية الفضفاضة الشفافة والمثيرة التي تشكل جزءا مهما من ثياب الشغل عندهن ..

وتشكل المصاريف الطبية ايضا — برغم « وجود » الضمان الصحي .. جزءا اساسيا من مصاريفهن . وقد تتخذ عادة شكل دفع مصاريف الاطباء لعمليات الاجهاض ، او الادوية المضادة عندما تتسرب اليهن الامراض السارية التي تعتبر ابرز مخاطر المهنة .

واضافة الى المصاريف العائلية في بعض الاحيان ، فان هناك وسائل اخرى لانفاق الدخل ، مثل القمار ومراهنات السباق و« الكوهاسيستيم » .. كما تشمل الترفيه والمشروبات والسكاير والاصدقاء واعمال الخير ...

٣ — لقد رافق التدهور الذي اصاب سير عمل المومس العمومية تغير في نوعية الزبائن الذين كانوا يترددون اليها . وخاصة ، تلك الكبيرة في السن او زميلتها المخضرمة ..

ذكرن ان زبائنهن تقدموا في السن كنتيجة لتقدمهن هن في السن . زبائنهن تحولوا ، بفضل تمايز الزبائن الطبقي ، « من جماعة ذوات الى جماعة هردبشت » .

وغير ذلك ، قد يظن عادة أن البغاء ينشأ لاشباع الرغبة الجنسية عند الرجال غير المتزوجين . والحقيقة أن الجزء الاكبر من الزبائن هم من المتزوجين الذين يحبون



التغيير على .. ضرسهم .

يقول ويلاند يونغ : « اذا اعتقدت أن الجنس شيء يمكن فصله ، او اذا ذهبت الى ابعد من ذلك فاعتبرته شيئا مهينا ، مخزيا ، محرما ، شيئا تود المراة المهذبة ان تتجنبه ، فلن يكون لديك آنذاك سبب يمنعك من ابتباعه » .

وهناك اخيرا ، نوع من الرجال يعشق المومس بحد ذاتها لما تعني بالنسبة اليه . « انه يجد متعة خاصة في طبيعة الحياة الجنسية التي تسود بيوت البغاء عادة ، والتي تتسم بالفظاظة والخشونة والابتذال والبذاءة » .

يقول الاميركي كنزي : « ان كثيرا من الجماعات المهتمة بضبط العلاقات الجنسية غير الزوجية ، قد ركزت اهتمامها على البغاء . بينما لا يشكل البغاء بالفعل الا عشر النشاطات الجنسية غير الزوجية التي يقوم بها الرجال في المجتمع . ان الاهمية الاجتماعية لمضاجعة المومسات تفوق بكثير اهميتها كمنفذ للرغبة الجنسية » .

٤ — الارتباط المهني الوحيد للمومس البيروتية المرخصة هو مع « البترونة » .

و« البترونات » هن غالبا مومسات متقاعدات ، لهن من المومسات المشتغلات عندهن — مشاعر المرارة والعداء والحقد . انهن « الطاغيات » — « لانهن يبعن آلامنا واجسادنا بالثمن الزهيد ولهن حصة الاسد » .

اما حيال تحول « الطاغية » الى صديق ، وحيال اظهار « البترونة » احيانا ما يشبه عطف الام على البنات ، وابداء بعض الاهتمام بحالتهن ، فان البنات يدركن جيدا زيف هذا الاهتمام ، لان « الدكتاتورة » لا تبديه في معظم الاحيان الا بدافع المحافظة على مصالحها التجارية .

وخلافا للاراء الشائعة ، وخلافا لما يحصل في الغرب ، فان القواد لا يلعب دورا مهما في حياة المومس اللبنانية . فحيث أن البغاء شرعي ، فان الفتيات يستغنين عن خدمات اي فريق ثالث يعين نفسه وصيا على الفتاة وحاميا لها .

قلة منهن على علاقة وثيقة بالقوادين . ربما اصلا ، وقبل دخولهن المهنة ، كان للقواد دوره .. اي على وزن « ان للباطل جولة » ..

٥ — يبدو ان وسائل الترويح عن النفس لدى المومسات ، لا تختلف كثيرا عن وسائل الترويح لدى غيرهن من البنات اللواتي يماثلنهن في المستوى التربوي والاجتماعي والاقتصادي . وسائل الترويح لديهن : التحدث والثرثرة والنوم وسماع اغاني « الموسيقار الحزين » فريد الاطرش ، ومشاهدة كل برامج التلفزيون و« طق الحنك » ... وهن لا يبدين اي اهتمام بالمطالعة او بغيرها من النشاطات الخلاقة .

ان كل من يشتغل في مهنة يعتبرها المجتمع « مرذولة وآثمة » لمدة طويلة ، مجردا من كل الاعتبارات والحقوق المدنية ، ومحجوزا في « المنازل الموبوءة » ، لا بد من أن تعكس نفسيته كل ما في المجتمع من « رياء وتخبط في القيم » . ان المومس لا تستطيع أن تغفر لمجتمع يلعنها على رؤوس الاشهاد وغير الاشهاد ، لكنه يتغاضى عما يمكن أن تقدمه خلسة ويشجع عليه . والمومس ، كفرد في فئة اجتماعية منحرفة ، غير متمردة — بمعنى الاحتجاج ضد مساوىء المجتمع . فهي ، في بساطة ، تعاني حالتها الراهنة ، لكنها تحس بعجز عن عمل اي شيء . ان تجربتها في هذه المهنة اكسبتها الصلابة والخشونة بدلا من أن تفسد أخلاقها . لقد أصبحت « قوية الشكيمة » لانها تعاني في استمرار الاحساس بالضغينة والحسد وعواطف الانتقام المكبوتة . انه « العداء العاجز » في وجه المستقبل .

٦ — ما هو موقفهن ، اذن ، من المهنة ؟ ماذا يحببن ويكرهن في حياتهن الحاضرة في المبغى ؟

٧٠ في المئة لا يحببن شيئا على الاطلاق . الحاجة فقط التي هي أم الوسائل .. تجبرهن على البقاء . ٢ في المئة منهن وجدن في النقود عاملا مرغبا ، خاصة انهن تمكن من التحرر والاستقلال . ثم هناك « السترة » تتصدر الدوافع التي تحدوهن على البقاء . وقد ورد ذكرها في شكل محدد عند أكثر من ١٣ في المئة ، كاحدى النواحي التي يحببنها في المهنة .

وثمة جوانب أخرى أشرن اليها في شكل عابر في اجاباتهن عما يحببنه في مهنتهن : مثل الصلات بالمومسات الاخريات ، وفرصة الالتقاء برجل ، وفي ذلك بعض التعزية . وأخيرا ، ذكرت قلة منهن ، انهن يستمتعن بساعات الفراغ التي لا يمارسن فيها اي



عمل .

وهــن ــ في غالبيتهن ــ يكرهن كــل شيء . قالت بعضهــن : « نأكل الخبــز اليابس وننام فــي الشوارع أحسن مــن هنا » . وما يكرهنه اشد الكــره ، هو خضوعهن لكل من يدفع الثمن ، خــاصة منهم السكــارى وزبانية آخر الليــل . فالوصال الجنسي وسفاهات الزبائن مــن مكاره المهنة عندهن .

ولكن « ما الفــائدة من كــره شيء لا استطيع الفكاك منه ابدا » ؟... اذا عملت في مكان ما سوف يقولون : مومس ، اذا تزوجت سوف يقولون : مومس ، اذا دخلت الدير سوف يقولون : راهبة ــ مومس ...

فالافضل أن أبقى هنا » .

وكان جواب احداهن غاية في الطرافة ، اذ ذكرت أن حرارة الصيف هي كل مــا يضايقها في هذه المهنة ... انها تشوب . « هيه ... بيبسي » !

والحقيقة ، أن أحد الاشياء القليلة التي يحببنها في مهنتهن هو « السترة » التــي يتمتعن بها لمجــرد وجودهن في البيــت العمومي .

وبينما ذكرت ٧٣ في المئة أن حياتهــن أصبحت أسوأ من ذي قبل ، نرى أن ٦ في المئة فقط قد شعرن بأن حياتهن صــارت احسن ، وصرحت البقية (٢٠ في المئة) بأن حياتهن ما زالت كالسابق .

وتراوحت الاجوبة بين اقوال متطرفة من نوع : « انا اليوم مستورة . لم اعد انام على التراب . اصبحت على تخت » . واقوال (بفضل المال الذي حرك بعضهن) من نوع : « برغم تحكم الزبائن فينا ، وحرماننا من العطف والحنو ، فاننا لا نشتهي شيئا الا ويمكننا الحصول عليه » .

والى ذلك ، فهناك ترفعهن عن ذكر اية زميلة لهن بكلمة سوء . وعواطف الامومة والبنوة لديهن . ومحبة الاحسان . وتعاطفهن مع الفقراء وامتناعهن عن استقبال الصبيان المراهقين . واحيانا بعضهن لا يتقاضين نقودا من الزبائن المعوزين ، مع انهن يدفعن العمولة المعتادة « للبترونة » .

بعضهن وجدن الملاذ في الدين . ويبدو عليهن الاهتمام الحقيقي بخلاصهن يوم الآخرة !

كيف ؟!...

٧ — حول مشاريعهن للمستقبل ، وردا على سؤال حول امكان تركهن المهنة لسبب ما ، اجابت ٨٢ في المئة منهن بنعم . فيما ذكرت البقية — الـ ١٨ في المئة — بكل صراحة ان الفرص السانحة لهن للتخلي عن المهنة معدومة تقريبا . وكان رد البائسات منسجما مع اجاباتهن السابقة . اذ فسرن ضآلة الفرص أمامهن بأحد أمرين مألوفين ، اولهما : موقف « أين سأذهب وماذا سأعمل » ؟. وثانيهما : موقف المقتنعات بأنه لن يكون في مقدورهن ابدا تحصيل الدخل نفسه في اي مكان آخر . ومن الممكن استخلاص هذين الموقفين من الجواب الآتي : « ليس لي معيشة غير هنا . ليس لدي اهل وليس لدي صنعة . اذا خرجت فسوف اعمل في الشوارع ، فالافضل ان ابقى هنا » .

ماذا ، لو تم ذلك بواسطة الزواج والتكفير والسترة مع زوج ما ؟ اذا ما سنحت لهن الفرصة . ثم ، الاستسلام لارادة الله ، مثل كل العرب ..

اما بقية المجيبات بالنسبة الى المستقبل ، فهن : بين الحصول على مكان للعيش ، والانخراط في سلك الرهبنة ، الى ربح جائزة اليانصيب الوطني اللبناني ..

وقد تقول لك احداهن : « ان بنت هذا المحيط لا يعرض عليها شغل . وانها في نظر الناس ميكروب ، وفي النهاية .. مومس » .

وهذه « الاحداهن » يبدو انها لا تحب الشغل خارج السوق ..

او تقول لك اخيرة : « انني اخاف التفكير في المستقبل » ..

الخوف !

وبرغم « نصيبهن » ، فان انامل الامل ما زالت تداعب أحلام مستقبلهن ..

او ، مثلما تشعر معهن في ذلك الميل الانثوي الفريزي الى الزوج والعائلة والاطفال الصغار والكبار ...

والحقيقة الاخيرة ، ربما ، ان الاحلام وحدها ، هي التي تشد من عزائمهن في الايام الكئيبة السوداء التي تجتاحهن في ذلك البيت العمومي . انها كل املهن .

لكن ما يقلقهن أن « الهاويات » اخذن يغتصبن مركز المحترفات : المنافسة الخارجية و« التحرر » ..

وقد بلغ وعيهن لهذه المنافسة حدا جعلهن ، في كثير من الاحيان ، يعتبرن السيارة والستريو والرصيف والشقة وعلب الليل والبيوت السرية وغير السرية.. خطرا يهدد مهنتهن .

هذه الامور وغيرها هي العدو اللدود للمومس العمومية والكابوس الثقيل الذي ينغص عيشها . وهي تبرز كل ما يشعرن به من مرارة وعداء تجاه المجتمع عامة ، وتجاه ما يسمى بنات العائلات المحترمات في شكل خاص ، وقد عبرن عن هذا السخط بالعبارات التالية :

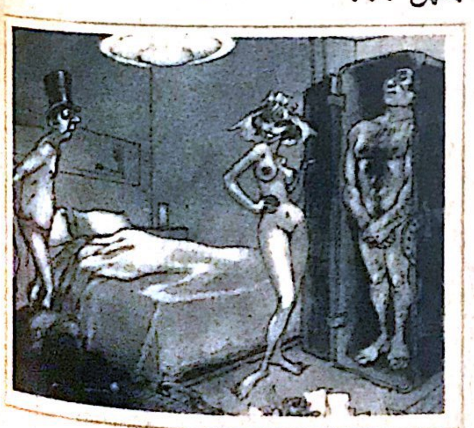
« السوق بره مش جوه » .

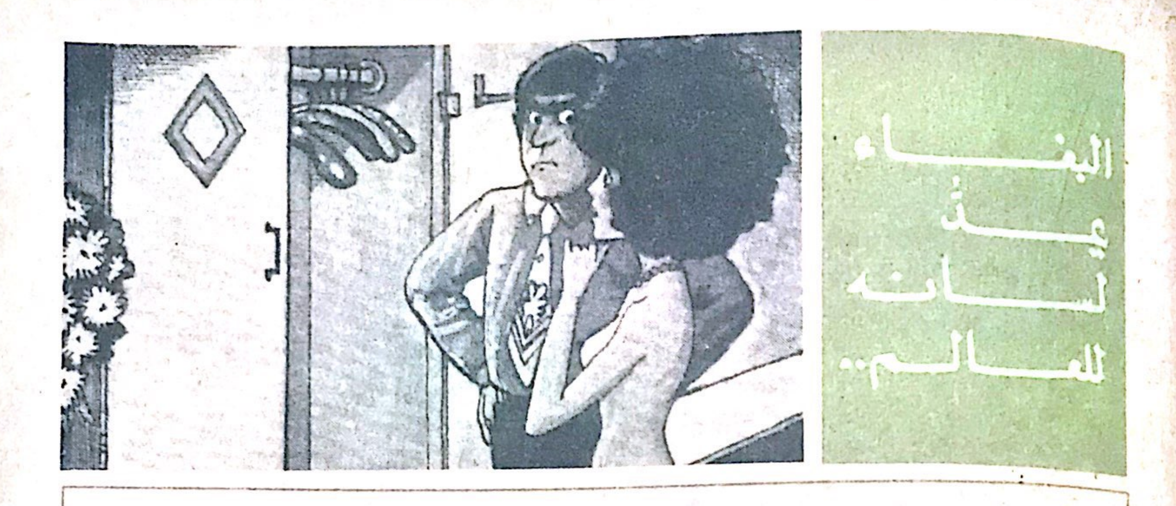
« الصيت النا والفعل لغيرنا » .

« الزبون اللي كان يجي مرتين بالجمعة صار يروح لغير مطرح » .

« استغلتنا القوادات ونحن صغيرات ولما وعينا لم يعد لنا شغل » ..

والحقيقة انهن كبيرات في السن وغير جميلات . ولو كن عكس ذلك لاشتغلن اكثر . وان بنات العائلات لسن ارخص منهن ...





« أقدم مهنة في التاريخ » .. هكذا اتفق الشعراء — الرجال على نعت البغاء . ربما انتقاما من عقدهم تجاه المرأة ، وربما ، لأن معهم كل الحق .

ماذا عن أقدم وأحدث واربح .. مهنة في التاريخ : عبر التاريخ ؟

منذ بدء التاريخ ، وفي كل المدنيات ، وعبر كل العصور ، كان البغاء وما زال يمد لسانه للعالم ...

في بابل ، وقبرص ، ولدى « اجدادنا » الفينيقيين ، وفي مناطق كثيرة من آسيا الغربية ، وعند الشعوب السامية عامة ، وفي المناطق السكنية المكتظة خاصة ، كان البغاء يرفع رايته الحمراء .. وكانت النساء ، أحيانا ، يتعاطينه كواجب ديني تجاه آلهة ذلك الزمان ، قبل المسيح بنحو ٢٥٠٠ سنة .

وفي العادات البابلية ، كما يقول المؤرخ هيرودوتس ، كان على مطلق امرأة غنية أو فقيرة أو متوسطة الحال .. ان تجلس أمام معبد « أشتار » لمضاجعة أي غريب يمر من هناك بعد أن يرمي في حضنها قطعة فضة .

كان ذلك واجبا دينيا ، وكانت النساء مجبرات على قبول قطعة الفضة من أي كان ، لكن الكثيرات كن يجلسن هناك عدة اشهر ، ولا يمر الغريب الذي يرمي فضته .

مرة واحدة كانت تقوم المرأة بهذا « الواجب الوطني » لتتحرر نهائيا . وبعدها لا يستطيع احد شراءها بذهبه .

وكانت تلتذ طويلا لحظات الفضة .. لا لانها تعطي نفسها لرجل ، وانما لكونها تعطي جسدها لنظام .

عاش ذلك النظام .

ومن ثم ، كان اليونانيون في طليعة الذين قبلوا بالبغاء واقبلوا على الاعتراف به والاعتماد عليه ، ولا شيء تغير ..

أما الرومان ، فكانوا يفرضون ضريبة على المومسات ، ويطلبون اليهن تسجيل اسمائهن ، ويجبرونهن على ارتداء ملابس خاصة ، مع أنظمة خاصة شتى .

بينما أخذ المسيحيون القدماء ، في بدء العهد المسيحي ، موقفا ضد البغاء ، وناهضوه من الناحية الاخلاقية .

ويقال ان الامبراطور البيزنطي جوستنيانوس (٤٨٢ — ٥٦٥م) اهتم باصلاح المومسات ، وأسس لهن بيتا يأتين للجوء اليه بعد توبتهن .

ومن أواخر القرن الخامس عشر حتى السادس عشر ، تفشى وباء السفلس في كل أوروبا .. أيامئذ ، ساد الاعتقاد أن البغاء هو المسؤول . فاتخذت على الاثر اجراءات صارمة للقضاء عليه ، واغلقت بيوت كثيرة ، لكنهم لم يستطيعوا الغاءه عمليا . وبعد فشل نظرية اغلاق البيوت ، اهتموا بتنظيم النواحي الصحية ، ووضعوا أنظمة مشابهة للانظمة التي وضعها الرومان من زمان .

في فرنسا مثلا ، وفي مطلع القرن التاسع عشر ، كانوا يجبرون المومسات على السكن في مناطق محددة لهن ، بعدما انشأوا لهن بيوتا خاصة مرخصة ، مع قوانين وشرطة وأطباء ومراقبة واشراف ، كما جرى بعد ذلك في لبنان .

كيف توصلوا الى مراقبة البغاء ؟

كانت هناك وسيلتان هما : القمع أو التنظيم .

والقمع أو المنع أو محاربتهن .. تعني محو البغاء من المجتمع . وسبب هذا المبدأ ، الاعتقاد ان البغاء خطأ اخلاقي واجتماعي واقتصادي .

أما السبيل الى الفائه ، فهو من الناحية القانونية : في وضع انظمة لاغية . ومن الناحية التربوية : في تثقيف الناس كبارا وصغارا ، وافهامهم النتائج الخطيرة الناتجة عن البغاء . وفي الوقت نفسه ، محاولة اصلاح المومسات — باشراف الدولة — وارجاعهن الى الشرف والفضيلة و.. الصالونات : أي « تيتي تيتي » .. باشراف الدولة !



وفي صدد التنظيم ، فقد كان يؤمن دعاته « الواقعيون » ، بأن البغاء سيبقى في اي مجتمع ، مهما اتخذ من اجراءات لازالته . اذن ، فان أفضل طريقة من الممكن اتباعها ، هي مراقبة البغاء عن كثب لمنع الاخطار الناتجة عنه . وبالتالي ، اي عمليا ، حصر المومسات ضمن مناطق محدودة واخضاعهن لقوانين وشروط ودفاتر .

وغير ذلك ، كان هنالك النقاد الذين انتقدوا الطريقتين — وهؤلاء لا شيء يعجبهم .

في الولايات المتحدة عام ١٩١٠ ، حاولت السلطات قمع البغاء عن طريق الشرطة ، فأعطتهم صلاحيات كفيلة مستمدة من قانون الجرائم. ثم وضعت لذلك الحكومة الفدرالية قانونا جديدا سمته «MAN ACT» ومعناه : « القانون الذي يحارب الاتجار بالرقيق الابيض » ، والذي يقضي ايضا بمنع نقل المومسات من مكان الى آخر ، من ولاية الى ولاية ، أو من أميركا الى خارج أميركا.. حتى لو كان خارج أميركا في فيتنام !

بعد قانون ١٩١٠ ، صدر قانون آخر في ١٩١٤ — اسمه«MAY ACT» ، أي : « حركة أيار » وهي بالطبع، غير الطالبية.. وكان يقضي بمنع « معسكرات البغاء » قرب معسكرات الجندية الاميركية ..

هذان القانونان ، شكلا النظام العام آنذاك ، للسيطرة على البغاء الاميركي .

وخلال الحربين العالميتين ، كانت هناك محاولات « كبيرة وكثيرة وعنيفة » للقضاء على البغاء المنظم في أميركا .

وفي ١٩٥٠ ، اتخذت كل الولايات الاميركية — ما عدا نيفادا — قرارات لسحق البغاء ، أو اي نشاط له علاقة قريبة أو بعيدة تتعلق به ، كأن يقدم المرء الى المرأة بيته أو يستأجر لها بيتا أو يشاطرها دخلها القومي .. بينما في ولاية نيفادا ، كانت تحظّر كل النشاطات المتعلقة بالبغاء دون منع البغاء نفسه . كان على عاتق المؤسسات الخيرية أن تتدبر أمر البغاء النيفادي . بعض هذه المؤسسات كان ينصرف بحزم ، والبعض الآخر كان رخوا ..

في بريطانيا ، وهي احدى أعرق الدول

التي نظمت بغاءهـا ، لم يكن البغاء فيها جريمـة ، شرط الا تكـون الصفقة علـى الرصيف . لكن المحاولات كانـت ولا تزال جارية للحد من الاخطار الناجمة عن البغاء. كان يفرضـوا جـزاء كبيرا علـى شخص يشارك بغيا في دخلها . او جزاء كبيرا على البيت حتى يقفلوه . انما المراة ، من حيث المبدا ، فلم يفرضوا عليهـا اي قصاص . وبرغم هذه التسهيلات ، فانهم لم يسمحوا بنشاط الرصيفيات . وكانوا ، احيانـا ، يفرضون عليهن ضريبة ضئيلة : اي حربا انكليزية باردة وغير مباشرة ..

ولما جاء ١٩٥٩ ، وفي جلسة صاخبة في البرلمان البريطاني ، اصدر الذين اكملـوا النصاب قانونا بهذا الشأن ، اطلقوا عليه اسم « قانون الشارع » . والقانون المذكور يعاقب العاشقين اذا ما اكتشف انهما كانـا يتغطيان بالاسترليني .

في روسيا ، وقبل ثورة اوكتوبر ١٩١٧ ، كان البغاء اشهر من القياصرة .. واليوم ، يقول الاتحاد السوفيـاتي أن ليس عنـده دعارة ، « ولكن من الصعب التأكد مـن ذلك » .

في الارجنتين ، وبرغم ازدهار الكثلكة فيها ، عاد الحكم مرغما الى افتتاح بيوت الدعارة المنظمة عام ١٩٥٤ ، لأن غيابها كان يساعد على ازدهار الامراض .

في الامم المتحدة ، عبر ماضيها ، جرت محاولات كثيرة لفرض مراقبة على تسويق النساء من بلد الى آخر . ومرد ذلك الى « القانون العام العالمي الحالي » ، الذي يهدف الى الحد من الاتجار بالرقيق الابيض.

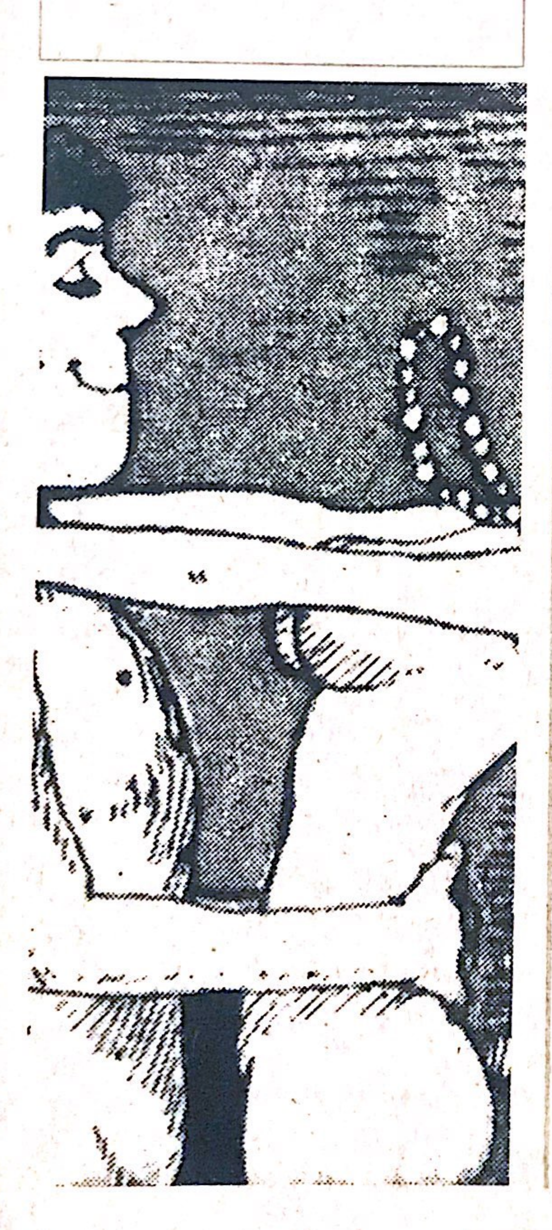
ففي باريس عام ١٩٠٢ ، أقيم مؤتمـر دولي كانت نتيجته اتفاقا دوليا يقضي بأن توجـد سلطة مركزيـة في كل بلـد حضر المؤتمر . ولهـذه السلطة ، الصلاحيـة الشاملة في الاستفسار عن سير الاتجار ، لما في ذلك مصلحـة ذاك البلد والتعـاون العالمي . وعلـى اثر المؤتمر البـاريسي — الدولي ، وضـع المؤتمرون قانونا عـامـا لتطبيقه لدى الجميع ومعترف به في كل البلدان المشتركة .

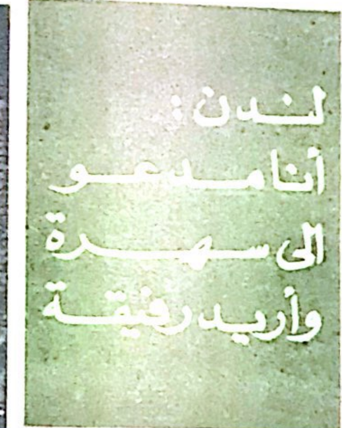
وفي ١٩٢٠ ، وقفت هيئة الامم المتحدة « بوضوح » ضد الاتجار بالرقيق الابيض . ثم قدمت الى كـل دولة عضو قائمة مـن الاسئلة ، لتاخذ اجوبتها في ما بعد وتقرر على ضوئها .

وفي ١٩٤٩ ، بعدما وصلتها الاجوبـة والتقارير ، اتخذت قرارا صريحا لمحاربـة الاتجار بالرقيق المذكور اينما كان .

وفـي الخمسينات ، قـامت اللجنـة الاجتماعية التابعة لهيئة الامم بدراستين : الاولـى حول محـو الاتجار واستغـلال المومسات في مهن اخرى . والثانية حول الاجراءات الخاصة بالتفصيل ، التي يمكن ان تتخذها لمحو البغاء .

وكان اهم الاجراءات « الاممية » الغـاء البيوت العمومية المرخصة .







ما لنا وللتاريخ عن اقدم مهنة مسحت الجغرافيا ..

.. هنا لندن :

« ـ لماذا انت مومس ايتها السيدة ؟ وكيف ؟ وماذا بعد ؟ » .

وتجيب السيدة عن اسئلة صحيفة « الشعب » اللندنية ـ عبر دراسة لها عن البغاء البريطاني :

« ـ أريد أن أعيش ايها السيد . طلّقت فانكسرت مؤسستي الزوجية ووجدتني على الارض . لا اجيد مهنة ثانية . والى ذلك ، فعملي هذا ثابت ولا احد يطردني منه . الزبون ، وانا داخلة الغرفة ، كناية عن خمس استرلينيات تسير في رفقتي . يرمي استرلينياته على السرير ويقول لي : الشيء نفسه في الاسبوع المقبل . اشكره . في ظرف سنتين اعطيت صديقي الذي يحميني خمسة آلاف استرلينية (٤٥ الف ل.ل.) ما عدا مصاريفي . انا مخلصة اكثر من كثير من الزوجات . اشعر بذنب كبير اذا ما ضاجعت رجلا بلا مقابل ، واعتبر ذلك خيانة لصديقي .

القواد ؟ لا اكرهه لانه جزء من المهنة . لكن الذي يقلقني ، ليس ما يقولونه عني ، اذ ، ما النفع لو كنت امراة عاقلة وجائعة ـ الذي يقلقني هو أن امرض وأموت » .

وتزيد الدراسة ، أن ابرز الذين يؤجرون بيوتهم للرصيفيات اللندنيات هم من الشباب الباكستانيين . وأن بعد ١٩٥٩ ، ازدادت الامراض لفقدان الرقابة الصحية . بحيث حصلت عام ١٩٥٩ نحو ٣١٣٤٤ حالة مرضية ، وارتفعت حتى ٤١٨٢٩ في ١٩٦٩ .

وتجيء هذه المعلومات في شكل مشتت. لكنها تعود فتوجز بقولها ، ان آخر المتعاونين مع رصيفيات المدينة ، هم سائقو التاكسي الذين يصطادون الزبون الماشي « عالطاير » ..

حتى الصحف البريطانية الجدية ، لا تخلو من اعلانات واضحة بعناوين رمزية : « ماساج سويدي » .. مثلا .

ولندن ، التي سمحوا فيها ـ برلمانيا ـ بكل الوان الحب .. ما زالت تحتفظ بأوكارها الصغيرة اللطيفة الحنونة ، التي تستقبل اية سيدة بيت محترمة ، ينقصها نحو « ١٥ استرلينية » مثلا .. كي تتدبر شؤون منزلها او « تشبرق بها » شبابها... وذلك ، بسبب تدهور موازنة الاسرة ، او سبطرة الاب عليها . والطريف ، أن الذي هو آخر من يعلم عادة ، يعلم عادة ... ويسكت .

ومثلما في كل مدن أوروبا ، في لندن اصلا ، ما يعرف باسم «Call girls» أي « فتيات الهاتف » .

ابتداء برجل الاعمال الغريب وانتهاء بمطلق عامل قريب ، فالذي يدير الرقم المعروف ويقول للذي على الخط الآخر : انا مدعو الى سهرة وأريد رفيقة وهذه ٢٠ استرلينية مثلا ـ لا يلبث حتى تأتيه الرفيقة المدعوة « بدورها » الى سهرة قد تستمر حتى الصباح .. وقد تكون « الساهرة » حتى الصباح طالبة جامعية ، أو سكرتيرة مدير عام ، أو صحافية ناشئة ... وكل القصة بكذا استرلينية !

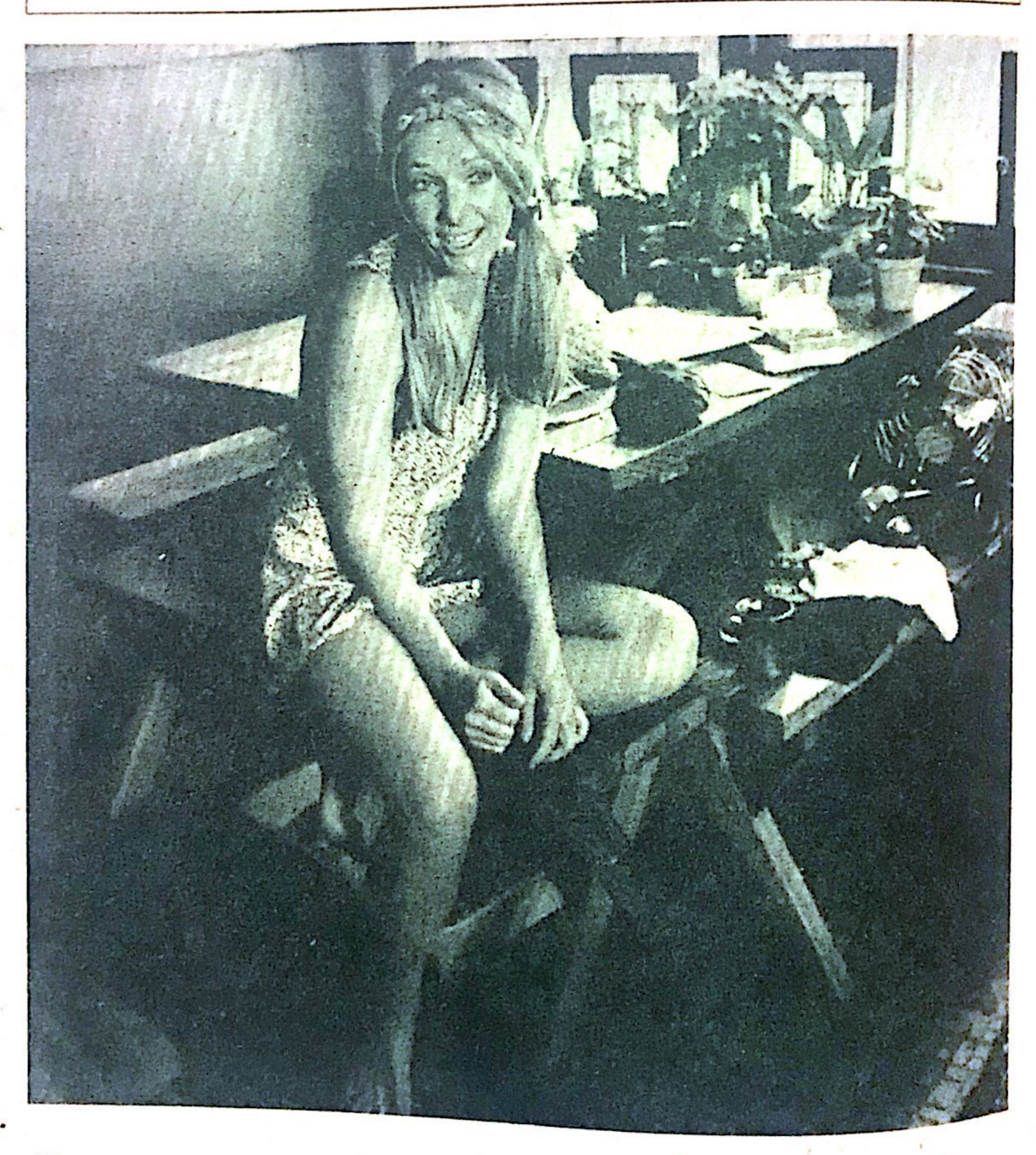
و... الاشقى من كل ذلك لندنيا ، ما يعرف « بعالم الليديات » .

و... « على التلفون ، او على السمسار ، او على الله » .. تدخل عرين « الليدي » ، فتشعر رأسا انك غزوت سيدة القصر . انها في أشهى ملامحها وعطرها واناقتها . وقد يحلو لها أن تغير لعينيك ، اكثر من فستان يتوجع في عينيها عند كل « مفارقه » .. ثم ، تطلعك على آخر اشعارها ولوحاتها ومنحوتاتها على موسيقاها ، وتعمل لك عشاء ساخنا لذيذا مع كأس أعتق من نبيذها . وتعاتبك فوق كل ذلك بلكنة « ساوث كنزنفتون » التي ترفض التعرف الى حي السراسقة !

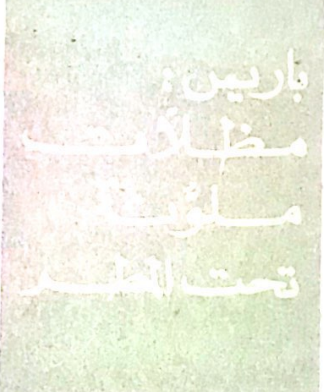
وبعد عشائها ونبيذها وموسيقاها ولكنتها و.. سيجارك ، تناجيك بما معناه « اي قوم تنلعب باصرة » ...

وتلعبان ...

من « فتيات الهاتف » .







« انا اكتب عنهن ، محميا ، في غرفتي ، وهن تحت المطر ، معهن مظلات ملونة . العجائز يرددن اغاني جاكلين فرانسوا والصبايا يرددن اغاني آدامو ، وجميعهن يبحثن ، تحت المطر ، عن زبون ، عن زبون » .

والمطر ينزل في كل مكان ، من « بورت دو لاشابيل » الى « بورت دو فرساي » ومن « بوا دو فانسين » الى « بوا دو بولون » ، وهن ايضا في كل مكان في الجهات الست من باريس . على ضفتي السين الذي يشق المدينة يتكاثرن حسب العرض والطلب ، ويتجمعن ، اكثر ما يتجمعن ، في فرساي ومون برناس والهال والشابيل والمادلين والاوبرا ومحطة سان — لازار وبيغال والشنزليزيه و . . .

في باريس ، حيث عالم الرصيفيات كبير ومتماسك وواسع وعميق حتى له قاموسه المؤلف من الف كلمة وما فوق — في باريس تكتشف ما هو مطلوب من الرصيفية ، لانها خارج المجتمع المقدس . ربما يكون اكثر قساوة مما هو مطلوب منها في عالم « نيويورك السفلي » . وتكتشف أن سجلها في دائرة الشرطة لا يحتوي اسمها وعنوانها فقط ، بل يطلب منها أن تذكر أيضا اذا كانت غرفتها مفروشة أم لا . . وكم عدد المفروشات .

« ايرما لادوس » ايضا فعلت ذلك . الا ان كاتب المسرحية اغفل شيئا هو تصنيف ايرما الناعمة ، لان فتيات الرصيف هن أصناف .

تبدأ « بالكارافيل » التي ترتدي معاطف الفيزون مرورا « بالشانديل » التي تقف في الشارع طول النهار ، واحيانا طول الليل ، وتنتهي « بالاوكازيونيل » التي تمر باللحم المشاع مرورا عابرا ينتهي بانتهاء حاجتها الى المال لايفاء الديون أو دفع اجرة الغرفة او شراء عدد من علب الزينة .

من خمسة فرنكات الى خمسمئة . وفي آخر العام يتبين من الاحصاءات ان الاموال التي دخلت عالم الارصفة (وخرجت منه طبعا ، بشكل أو بآخر) تزيد عن المئة والخمسين مليون فرنك جديد .

ومن ابنة ١٧ ربيعا باريسيا الى ابنة ٥٠ خريفا باريسيا يبلغ عدد المنتشرات على الارصفة ما فوق التسعة آلاف امراة . (الرقم غير ثابت) .

ويبلغ معدل ما تربحه الواحدة في العام ٩١ الف فرنك ، ومعدل ما تصرفه على « حاميها » وزينتها و« المنظمة » التي تخضع لها أكثر من مئة الف فرنك .

ذلك ، لان ما من رصيفية — ما عدا القلائل جدا — الا لها « مدبر » او « حام » أو « قواد » ، له في قاموس الرصيف فوق العشرين اسما منها : « جول » و« ماكرو » و« باربولون » .

أما الشرطي ، فيطلق عليه قاموس الرصيفيات لقب الدجاجة !

وهناك الآلاف من المدبرين ، الواحد منهم « يدبر » شؤون فتاة او اثنتين على الاكثر ، والقاسم المشترك بينهم انهم يخلقون ويهندسون جحيما غريبا للتاعسات اللواتي

دفشهن المجتمع المقدس خارجه .

والقواد ، بالنسبة الى بعضهن ، هو الانسان الذي يمثل « الحياة الخاصة » . ولذا هو يرتدي آنق الثياب ويقود اجمل السيارات ، وهو الذي يضرب فتاته والذي يعذبها ، وهي التي تقف في الشارع ، تحت المطر ، تردد اغاني آدامو .

بعضهن ، يكتفين احيانا بأن يرافقهن رجل الى ملهى ، بأن يتأبطن ذراع رجل «خاص»، و« لهذا يشعرن بأن القواد ، مهما كان سافلا وحقيرا وتافها وخنزيرا — هو الباب الوحيد الباقي لدخول أمكنة معينة من المجتمع المقدس » ، حيث يفترض أن يكون هناك رجل ... أو لا يكون .

الرصيفية الباريسية ، ما عدا اللواتي يرددن اغاني جاكلين فرانسوا — « الحياة الوردية » أكثر الاحيان — اصبح لها شكل ، ومعالم مختلفة . فاذا لم تكن مرتدية معطفا من « الفيزون » فهي تقود سيارة ثمينة ، وفي اسوأ الحالات ، يجب أن تكون ثيابها جميعا، الداخلية والخارجية(والمغتربين..)، ممهورة بامضاء كريستيان ديور .

سواء كانت « كارافيل » أو « شانديل » او « أوكازيونيل » ، فالقاسم المشترك الوحيد بينهن هو الحاجة المادية ، في البداية . ثم احيانا الاحتراف ، واحيانا تخل عن المهنة بعد سنة أو سنتين أو ثلاث على الاكثر .

« الحاجة المادية فقط ، وبقية النظريات الفلسفية النفسانية عن (الاستعداد المسبق) للعهر و(الاختيار المسبق) للرصيف ، ليست سوى مجرد نظريات سخيفة سطحية مردودة أصلا وفي كل مكان ، لانه اذا لم تكن هناك حاجة مادية فلن تفتقر المراة ، في اي مكان من العالم ، الى رجل يفي بالحاجات الاخرى ، فكيف في باريس . بل ثمة نظرية تقول ان عملية بيع المتعة واحترافها تؤدي الى برودة جنسية ، هي اسوأ المكافآت التي تنالها المراة على ممارستها اعتق مهنة » .

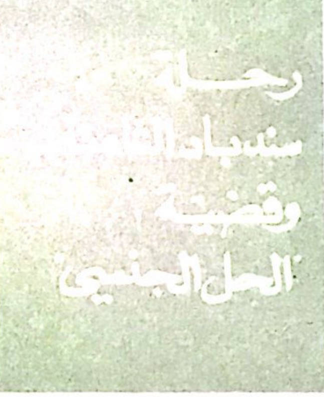




مدعوة الى « سهرة » تسير الى جانب « ساهر » .







في كل مدينة من مدن المانيا الغربية ، سوق عمومية مرخصة ، اكبرها واشهرها عالميا سوق هامبورغ ، حيث تجلس « بائعات اللذة » في الواجهات الزجاجية ، ليأخذ قاصدها فكرة عنها من على الطريق .

تراوح اعمار « الهامبورغيات » بين الاحدى والعشرين (وفقا للقانون) والستين سنة . والاسعار من ٢٠ الى ٢٠٠ مارك .

ولا تزال السوق العمومية في هامبورغ من اشهر مظاهرها كمدينة ساحلية كبرى ، برغم تعدد الاماكن التي تقدم كل شيء لذيذ .. وبرغم وجود ملاه خاصة ، حيث يستطيع الرجل أن يتلفن من طاولته الى طاولة أخرى تجلس عليها امراة قاصدة... وبرغم وجود — أخيرا لا آخرا — صحيفتين جنسيتين كبيرتين ، توزع احداهما نحو مليون وستمئة الف نسخة يوميا . وفيها كل اشكال وانواع والوان العناوين ... المشتاقة ...

وفي هامبورغ وفرانكفورت وبون ، بالاضافة الى أسواقها العمومية المرخصة ، لا يخلو الرصيف من عمليات العرض والطلب ... الى المنازل وغير المنازل ، كما لا يخلو الامر من كون اشهر القوادين هم اخوان لنا عرب كما في باريس ، كذلك في برلين الغربية .

وفي « جزيرة » برلين الغربية الحزينة التي حرمها التقسيم حتى السوق ، وبالاضافة الى رصيفها الداخل في حرمة المقاهي — ملاه طليعية ، في مقدمتها واحد اسمه « بلاي بوي » ، ميزته أن الرقص فيه « بالزلط » وفي بركة ماء تشبه كأس الشمبانيا . وعلى رائده أن يرتدي بدلة رسمية سوداء مع « بابيون » ، وفي الداخل « يشلح » ويرقص مع فتيات المكان في الكأس .. وفي كل يوم — طبعا — تتغيّر « الشمبانيا » ...

وتوجد ايضا ، مؤسسات خاصة للتعارف بين الجنسين ، لا بالمراسلة ، وانما وجها لوجه . والمؤسسة تتقاضى عمولة ، والشغل ليس عيبا ...

مربط خيل الكثلكة :

لا توجد أسواق عمومية في « مربط خيل الكثلكة » ايطاليا ، وانما هناك رصيفيات في كل المدن .

ومثلما في كل عواصم الغرب ، كل « قضايا المتعة » متوافرة في روما ، لما تسقط نجمات الرصيف الجميلات جدا على طول « الفيافينيتو » التي تمتد بهن حتى « الفيلا بورغيزي » ، وبالتالي تنزل الاسعار لدى « المتعات » في السيارات والحدائق العامة ..

ولا يمنعهن كل ذلك ، اجمالا ، من أن يتبرعن للكنيسة صباح كل يوم احد !...

في بلاد التوريرو والاكروبول :

في اسبانيا ، وفي كل مدينة كبيرة ، سوق مرخصة اكبر منها تقريبا ..

وفي اليونان ، ما يشبه السوق العمومية في كل مدينة .. وكانت اشهرها سوق اثينا التي دكها العسكر بالقوة منذ آخر انقلاب.. لكنه ، اي العسكر ، لم يستطع دك البغاء الاثيني العظيم بكل مشتقاته .

وكل الفنادق الاثينية الكبيرة والصغيرة تستقبل كل العشاق ، ما عدا البانسيونات ، التي ترفض ان يأتيها العاشق برفقة عشيقته ، باعتبار ان هذه حاضرة في البانسيون ولماذا المضاربة ؟..

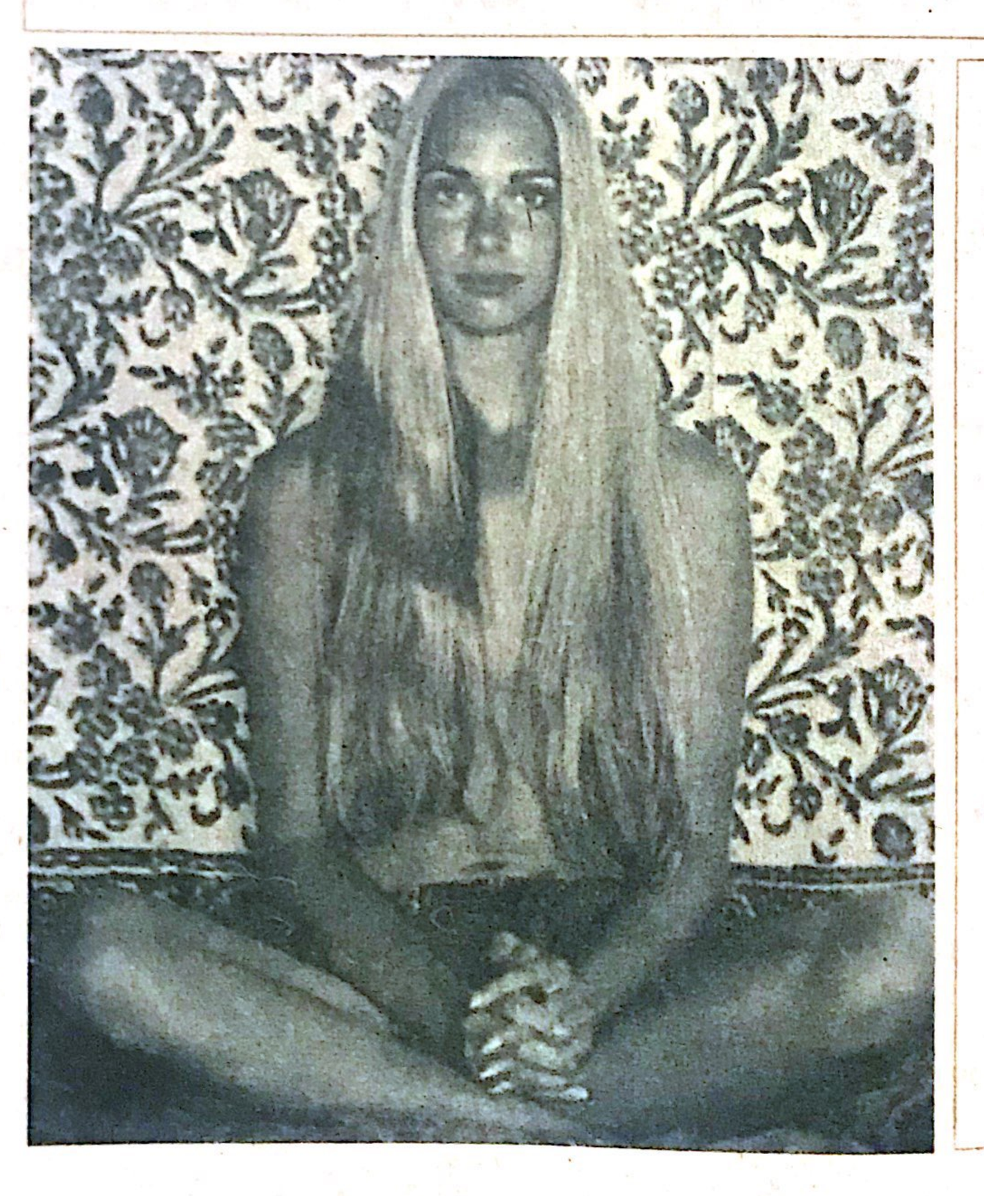
حيث يجري ما لا يجري ..

اما السوق المرخصة في امستردام ، فانها تماما مثل سوق هامبورغ الزجاجية ..

واما بروكسيل التي حرموها سوقها ، فانها اشبه بباريس ، رصيفا وعلب ليل .. وخاصة في المنطقة الملتفة حول محطة سكة الحديد الشمالية ، حيث يجري ما لا يجري ..

وفي سويسرا الغرب ، (باعتبار لبنان سويسرا الشرق) ، لا اسواق عمومية في مدنها ، كما ان فتيات ارصفتها وعلبها وبيوتاتها الصغيرة هن من الاجنبيات عامة والاسبانيات خاصة ..

وفي فيينا ـ النمسا ، سوق رئيسية محترمة ومختلطة .. اي فيها من كل البلدان المجاورة . وتعتمد اكثر ما تعتمد على السياح الاوروبيين عامة والعرب خاصة ـ وخاصة اولئك العائدين من المانيا بسيارات مرسيدس مستعملة .





و . . .
« ملأنا البر حتى ضاق عنا
وظهر البحر نملأه سفينا » . . .

ربما ، ينطبق هذا الشعر العربي على كل المدن الاسكندنافية ، التي ليس فيها اسواق ، لكنها هي اسواق متحركة . وهي اخيرا ليست في حاجة الى طلبات بقدر ما عندها من عروض . . . بين كوبنهاغن واوسلو واستوكهولم وهلسنكي والضواحي. آه الضواحي . .

كرخانة :

وتركيا سوق كبيرة . . . حرة !
في كل زاروب تركي دولة ورجال . . ابتداء بالاسكندرون وانتهاء بالشطر الغربي من اسطنبول . ليل نهار ، اضافة الى الاسواق المرخصة ، وعلاوة على ان « السوق العمومية » معناها تركياً : « كرخانة » . . .

«القطات » سريعة :

في نيقوسيا ، تقفل سوقها العمومية ابتداء من السابعة مساء .
في طهران تمارس « أربح مهنة » في شارع ترابي « يبدو كانه مدفن للجياع » .
في عبدان الواقعة على الخليج العربي سوق شهيرة يذهب اليها السياح الكويتيون وغير الكويتيين . اذ كانت في الكويت سوق فأقفلت .
في دبي سوق بيوتها من القش .
في افريقيا الشرقية المومسات مرضعات .
في افريقيا الشمالية . . .
في المغرب سوق طنجة البالغة الاهمية والشهرة تاريخيا وآنيا .
في تونس لا سوق رسمية . انما المناخ العام فرنسي على عربي معتدل ، في اكبر شارع يحمل اسم الرئيس بورقيبة .
في الجزائر ، لا سوق مرخصة لكن للرصيفية « شهرة » ايضا ، بأنها تقول لك : تعال معي . ثم : اعطني سلفا . ثم : انتظرني لحظة ، راجعة و . . . لا ترجع !
في الخرطوم سوق شهيرة تقع في حي لطيف اسمه طريف : « زهور فتاحة » . واشهر نجماته الحلوات جدا حبشيات .
وفي الحبشة ، برغم تصديرها الى الخرطوم ، يظل الكثير . .
في طرابلس وبنغازي وبعض المدن الليبية ، كانت ثمة بارات ليلية ، لكن مجلس قيادة الثورة منع المشروبات . . .

« سيادة البيه عايز ايه » . .

في القاهرة ، كانت هنالك سوق عظيمة تقع في منطقة « كلود بيه » وتعرف بالاسم المذكور . .
والمسيو « كلود » كان اشهر الاطباء الفرنسيين الذين رافقوا نابوليون لما جاء الى مصر . فأطلق المصريون — مدحا او قدحا — اسم الرجل على ذلك الشارع الذي يعتبر من أطول شوارع القاهرة واكثرها تعرجا . وهو يمتد من ميدان رمسيس الى ميدان أحمد ماهر مخترقا القاهرة الغربية .
و« كلود بيه » كان يغمر لا اقل من الف فتاة أحلام . . كن كلهن خاضعات لقوانين رسمية ، من بينها المعاينات الطبية الاجبارية ، التي كانت تتم في مكان يسمى « الحوض المرصود » . ويقال ، ان المرأة المصرية التي تريد « ردح » امرأة اخرى ، كانت تقول لها : « والله حبعتك الحوض

المرصود » ...

وفي ١٩٤٤ ، صدرت ارادة ملكية تقضي بمحو بيوتات « كلود بيه » من الوجود في سبيل محو البغاء الرسمي ..

لكن الملوك والرؤساء لم يستطيعوا محو البغاء « رسميا » لا في القاهرة ولا في الاسكندرية ولا في الاسماعيلية ولا في غيرها ، حيث أن السماسرة ، و« سيادة البيه عايز ايه » ، والبيوت الصغيرة والكبيرة والشقق المفروشة والتي بلا فرش ومجمل الفنادق والبارات التابعة لكل الفنادق والملاهي والسياحة والحالة الاقتصادية و« الاحوال المناخية » وابتداء بجنيه وانتهاء بعشرة ، واخبار كثيرة لا تحكى كلها وانما « وصلت مواصيلها » الى بيروت !

واطرف ما يسمع عن القوادين القاهريين ، ما قاله الشاعر الفنائي والكاتب الساخر مأمون الشناوي ، في شقيق احد المطربين الشهيرين بكثرة « مرافقاته » ، لما وصفه بأنه مثل « محطة الاوتوبيس » ... ولما سئل لماذا ؟ قال : « لان اللي يوقف جنبو يركب » ...

والحقيقة المرة — كما ازمة المواصلات في القاهرة — أن « محطات الاوتوبيس » اكثر بكثير من الاوتوبيسات الكثيرة جدا ...

واخطر ما في القضية المحزنة ، في « المدينة العائمة على المن والسلوى » .. أن البغاء المصري ، تفشى في صفوف العائلات ، وذلك لاسباب ...

خريجات « الجامعة » :

في دمشق ، زمان امين الحافظ ، الغيت السوق الاسمية الشهيرة بلقب «الجامعة» وكانت مؤلفة من عدة بنايات خلف احدى الجامعات البعيدة عن دمشق نحو كيلومترين — على طريق بيروت طبعا ..

وعندما كان يأخذ افراد الجيش — الذين كانت لهم تسعيرتهم الخاصة — اجازاتهم.. كانت حلوات السوق بدورهن ، يأخذن اجازاتهن ...

وبعدما الغيت « الجامعة » ، وزعت المومسات على اسواق حلب وبعض المدن الكبيرة والمحافظات . اما تسعيرتهن ، فهي مثل تسعيرة بنات بيروت ، ولكن بالليرة السورية .. اي هناك « فرق العملة » ...

اذا بليتم بالمعاصي ..

في بغداد وفي بقية العواصم العربية ، تنعدم الاسواق العمومية المرخصة ، كما تزدهر « الفلمنة » في بعض الخليج وشبه الجزيرة العربية . اما كيف « يتصرف » المشتاقون الكلاسيكيون هناك ، فانهم ، اما « يتحلون » بالصبر .. واما يتسترون اذا ما بليوا بالمعاصي .. واما ، بالنسبة الى الاغنياء منهم ، فهم ينتظرون « الفنانات » الآتيات من البلدان المجاورة عامة ، وبيروت خاصة ، او يسافرون الى البلدان المجاورة عامة ، وبيروت خاصة ...

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ..

تبقى اشهر الاسواق الاسيوية في هونغ كونغ ، حيث يقدمون للضيف مجموعة كبيرة من الفتيات دفعة واحدة وفي صف طويل ، وعليه أن يختار .. أو ، يذهب ليختار من الرصيف الاطول ...

وغير ذلك ، شرقيا ، ومن صوفيا الى بلغراد ، الى بوخارست ، الى بودابست ، الى براغ ، الى فارصوفيا ، الى برلين الشرقية .. فليس هناك اسواق عمومية اطلاقا ولا خصوصية ، ولا حتى بين بين . وانما ، يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ...

... نساء نساء نساء !

لا تعرف من اين ينزلن عليك . انهن كلهن بزخمهن في كل مكان : في الشارع والمقهى والمطعم والملهى وبار الفندق ومقصفه وعلى « الرسبسيون » ، وفي كل مكان وزمان جاهزات وتحت الطلب .. ولا يتطلبن كثيرا .

فقد تكفيها كأس ، او يخجلها عشاء ، كما قد تذهلها زجاجة عطر عادية او جوارب نايلون غير عادية او بعض مشتقات « الاخ فاليزير » ، او قل علبة سكاير اميركية كي لا نقول سيكارة .. وقد نقول اجرة التاكسي عند الصباح .

واحيانا ، قد تقوم هي بدفع كل هذه الامور ، لانها غالبا وفي منتهى البساطة ومثلما في قلب واشنطن ، تعمل رسميا لحساب المخابرات المركزية !

انهن كلهن بزخمهن في كل مكان : ابتداء بمقهى « فارشافا » في صوفيا وانتهاء بـ « الكافي دو لا برس » في برلين الشرقية ، مرورا يا سياح ، بمقهى « السلوفانسكي دوم » في براغ الحزينة المحتلة .. حيث تروح « راتشيلا » — عشيقتك يا غبي ، تخبرك آخر احوال

النشرة الجوية في لبنان .. وكم هي مشتاقة الى التعرف الى بيروت والى اقاربها الباقين في « وادي ابو جميل » ... وتكتشف متأخرا أن « راتشيلا » من أب تشيكي وام يهودية تركتهما « لتعود » الى بيت جدتها في يافا الزيتون والبرتقال.. وان المحروسة « راتشيلا » ، ربما ، تعمل هي أيضا في الاستخبارات اللامركزية هذه المرة !

« راتشيلا » اليهودية المحتلة شيوعيا ، لا تتوانى عن اخذ ثمن ليلتها سلفا كنت من تكون .. كل شيء يهون عندها في سبيل المال ، الذي قال فيه وفي اليهود ، اليهودي الاصل كارل ماركس في معرض حديثه عن « تهويد العلاقات الجنسية » ، وكيف أن اليهود هم أهم قوم تعاطى البغاء ، وذلك في كتابه « المسألة اليهودية » ، ما حرفيته :

« المال هو اله اسرائيل المطماع ، وأمامه لا ينبغي لأي اله أن يعيش . ان المال يخفض جميع آلهة البشر ويحولها الى سلعة . وما يتضمنه الدين اليهودي بشكل مجرد ، ازدراء النظرية والفن والتاريخ ، والانسان المعتبر غاية في ذاته ، انما هو وجهة النظر الواقعية الواعية . فضيلة رجل المال ، وحتى العلاقات بين الرجل والمراة تصبح موضوعا للتجارة . والمرأة تصبح سلعة يتاجرون بها » .

من اشطر في « الحل الجنسي » ؟

لكن في اسرائيل لا توجد اسواق عمومية . لماذا الاسواق العمومية في اسرائيل ؟

الحياة الاجتماعية من حيث التحرر مثل اي بلد غربي . عقليتهم مثل عقلية اي شعب غربي . حتى اللاغربيون يحاولون تقليد الغربيين . واسرائيل « دولة جديدة » : الاختلاط بين المهاجرين القادمين من كل مكان ، والظروف الحاسمة ، والغربة الموقتة ، ساعدت على تبلور اسرائيل بلدا « سياحيا » بالنسبة الى سكانها المستوطنين رعية بعد رعية .. ومفهوم السياح الاول البسط والانشراح ...

وهذا ، اضافة الى وجود الشباب الاسرائيلي في المعسكرات والمصانع البعيدة اكثر من البنات ، ما يساعد بعد « عودة العسكر » على ترجمة الشوق ..

اما نسبة اللواتي يمارسن البغاء فهي قليلة . وذلك ، نظرا الى التطور الاجتماعي من جهة ، والى كون نساء المدينة اكثر من رجالها من جهات ..

ولكن ، لا يخلو الامر من البيوت السرية للراغبين ، ومن علب الليل الحميمة للراغبين ايضا ، ومن الرصيفيات المتسكعات في شوارع معينة من تل أبيب ، اشهرها : شارع « اليركون » وطريق حيفا ..

وعودة الى نظرية ماركس اليهودية ، نرى في الاعلانات الاسرائيلية السياحية في الصحف الغربية ما حرفيته : « اسرائيل... شمس وبحر وفتيات جميلات » !

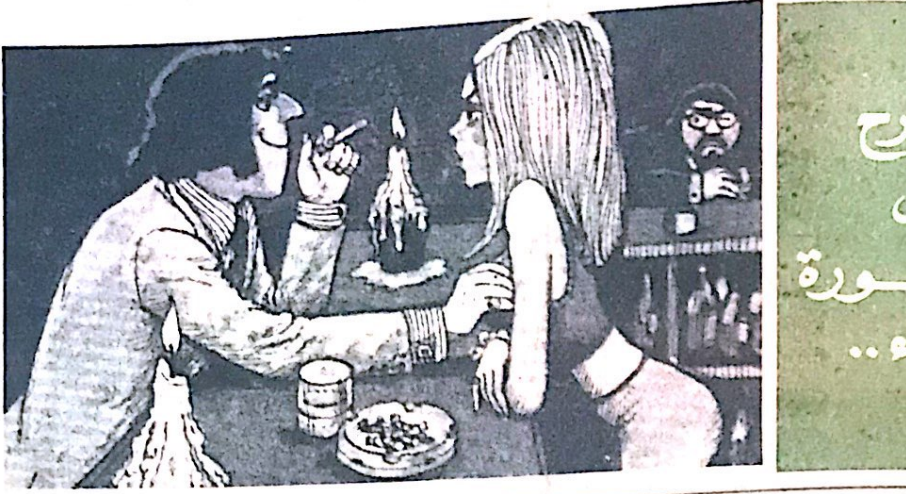
والسؤال المحلي اللاسياحي هنا : هل تفضل الفتاة اليهودية الفتى اليهودي على الفتى العربي ؟ والجواب : « غالبا نعم .. لكن الوضع يختلف بالنسبة الى الفتاة ، والبلد الذي قدمت منه ، والى الفتى ، والظروف ، والى أصفر عنوان سياسي في أصفر جريدة » .. ولكن ، مرة ثانية ، قد يبقى « المال اله اسرائيل المطماع » !

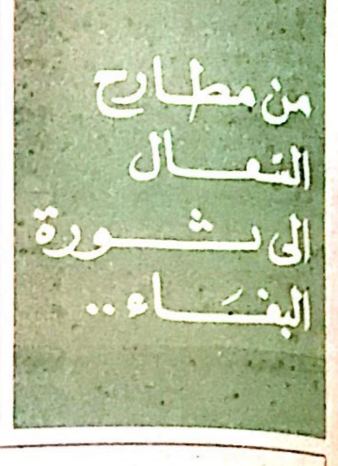
أما السؤال اللامحلي والسياحي واللاأخير ، والذي يأتي الجواب عنه بعد احلال السلام في المنطقة ، والاعتراف الرسمي بالوجود الاسرائيلي ، الذي في بال القاهرة وبيروت ودمشق وعمان وهلمجرا ...

السؤال الآتي ، بعد « الحل السلمي » وبعد الـ «Peace and Love» وحول « الحل الجنسي » .. هو : من هي التي ستكون أشطر جنسيا في استبغاء السياح الشرقيين والغربيين وتعشيقهن : التلأبيبية أم القاهرية أم الدمشقية أم « العمانية » أم ... البيروتية ؟!

من الكرخانة التركية .







« ختيرت » السوق التي دق بها الفقر ، فانسخت ربطة عنقها وسقطت على الارض .. وسقط الذهب عن اسنانها العتيقة .

السوق الكبيرة ، التي ان طعنت في العمر خلف شهداء الساحة ، فلأنها شبت وشهقت وشردت وغمرت خصر بيروت ، كل خصر بيروت ...

السوق البيروتية العريقة العمومية ، التي ان راحت تتراجع عن موقعها الستراتيجي في قلب عاصمة وطن الخدمات العامة خريف ١٩٥٧ ، فلأن خطتها في اعتماد الكماشة عند « الخصر » ، ثم التمشيط الى جانب تنظيم حركة الكر والفر ... اربح !

وكانت أول معركة ، ولو خاسرة ، في موقعة عفاف التي ماتت وخلفت ، « ومن خلف ما مات » .. ثم ، وبالتأكيد هنا : « الذي يخسر معركة لا يخسر الحرب » ...

الكماشة التي عصرت خصر بيروت ، تركته ينزف علب ليل شتى ، وبيوت ليل نهار ، ومؤسسات عمومية لها اداراتها ودعاتها وتلفوناتها وحماتها .. ثم ، مراكز كثيرة بين مقاه وملاه صغيرة وكبيرة و... رصيف فقير يمتد على طول البحر ، وسائقي تاكسيات « خاصة » يحومون حول السياح وفنادقهم ، فيأكلون رغيف الرصيف التقليدي الفقير .. فوق الشقق المفروشة المتنوعة الامور وذات المطلوب الواحد ...

في علب الليل البيروتية ، بين شرقية وغربية و« فرانكو آراب » وبارات ، قلما تجد امراة واحدة لا تمارس « اعتق مهنة » .. واذا كانت لا تقبل بست ليرات فانها تقبل بستين .. واذا كانت تحتقر ورقة المئة ليرة الزرقاء ، فانها لا تحتقر الالف والمئة ، وهكذا دواليك ...

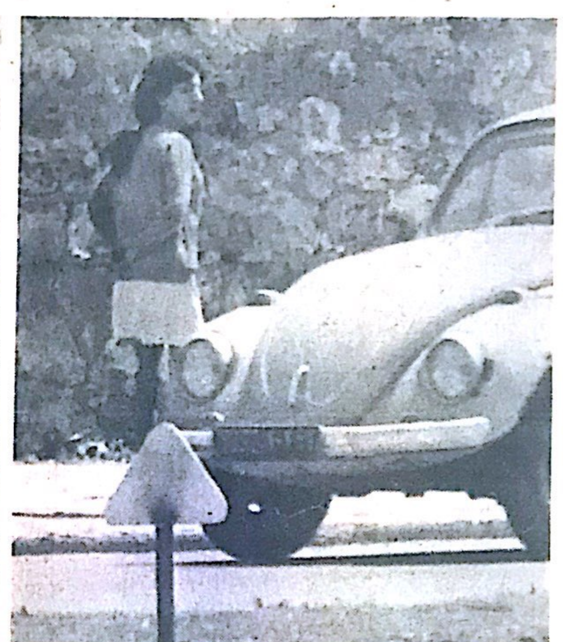
في الملهى الشرقي ، هناك « فنانة » واحدة لا تروح مع الزبون ، تلك التي لا يريدها « زبون العوافي » .. أما التي تدعي الفضيلة وتحاضر بفصاحة في الشرف الرفيع فلم تعد دارجة ... ولا ينفك زر من أزرار الفنانة « فلانة » الا باذن صاحب الكباريه !

كما في الملهى الشرقي كذلك في الملهى الغربي . غير أن بعض أرباب العمل في كباريه الغرب التقدميين ، « يشارطون » الفنانة قبل أن توقع عقدها معهم ، لانهم بغير ذلك يخسرون .. ثم يشاطرونها حصتها « الاضافية » ، كما يأخذون قبل ذلك عمولة من الزبون ، وبعد ذلك عمولة من الفندق المضياف !

اما البار ، الذي هو كناية عن ملهى مصغر ، فان أطرف صفقاته — التي تجري في نسبة معينة من البارات — تبدأ و« تكتمل » في المكان والزمان نفسيهما .. وسعر « الاكتمال » عادة ربع زجاجة ويسكي بنحو ٢٥ ليرة ..

بيوت المتعة في بيروت ، والضواحي ، متنوعة ومتفاوتة ومتضاربة ، تبدأ بالصغيرة التي تعمل فيها صاحباتها لحسابهن الخاص ، وتمر بالبيوت الكبيرة التي لها مركز وفروع ومديرون وعملاء و« مراسلون » اجانب ، ولا تنتهي ...

احلى ما في البيوت الكبيرة في « باريس



الفولسفاكن : نظرة من فوق .

المرسيدس : يليق بالمساومة .

الصغيرة » ، انها مثل المطاعم الكبيرة : تؤمن خدماتها الى المنازل ... على التلفون !

غير ان الذي اضيف الى هذه البيوت منذ سنوات ، ان بعض مكاتب الخدمات العامة التي تستقطب خادمات شمالي افريقيات لتوظيفهن في المنازل — راحت « تجيرهن » للبيوت الكبيرة ، بحيث ان التي تتقاضى مئتي ليرة عن الشهر الواحد كخادمة في بيت ، صارت تتقاضى ثلاثمئة ليرة عن كل ليلة .. وصار لديها هي خدم وحشم ومعجبون ومرافقون وقبضايات !

وفي المقاهي الفقيرة المنتشرة في ساحتى الشهداء والدباس ، من الفقيرات ما يكفي.. وفي المقاهي غير الفقيرة المنتشرة بين رأس بيروت والحمراء والروشة ، الكفاية و« فيهن الكفاية » ..

غير ان الرصيف « التقليدي » الفقير الممتد على طول البحر ، والذي يوصل الليل بالنهار ، والمنارة بالرملة البيضاء ، بتلة الخياط ، بمستديرة المطار ، بكورنيش الشياح ، بطريق الحازمية ، بشارع الشيخ بشاره ، وتحت جسر فؤاد شهاب بساحة الشهداء .. ينقسم عند سينما ريفولي فرعين : احدهما ينزل الى الزيتونة مخترقا باب ادريس والضواحي، والثاني صوب الدورة شاقا الصيفي وطريق النهر ..

(هذه هي خريطة الشتاء وحدودها الامنة ، اما خريطة الصيف فتمتد « خطوط نيرانها » الى الجبل الاشم) .

على هذه الاسماء ، تقف او تتمشى او تختفي بعض الدميمات الباقيات من الماضي، لان الحاضر المكابر لا يقبلهن في بيوته الدافئة المليئة بغيرهن .

غيرهن — ويفترض ان يكن على شيء من الجمال وغير ملتحقات بالبيوت الكبيرة — يختبئن في بيوت معينة ، بعضها « بانسيونات » لها متسلطون ونواطير وقوادون : واقفون ودوارون ..

والقوادون عندنا انواع ، بين مغمورين ومشهورين ، وكلهم « يعيشون » بالـف خيـر ...

يأتي دور الشقق المفروشة المتكاثرة ، التي ان انت ذهبت لاستئجار احداها ، يجيبك المسؤول — اذا ما سالته عن غطاء السرير : « وهل انت ستنام فيها يا استاذ » ؟

الشقق المفروشة،كل الشقق المفروشة، التي تدر ارباحا متزايدة على اصحابها ، والتي يفضل هؤلاء ان يؤجروها اسبوعيا على سنويا ، واحيانا لمدة ٢٤





دقيقة صمت وتأمل ... بعدما تمت « الصفقة » .

« غزل البنات » في أحد بارات بيروت .

ساعة ، وبعضهم يؤجر بعضها بالساعة — الشقق المفروشة لا يستأجرها — غالبا — الا السائح الذي يمر اسبوعا او اسبوعين. المواطن يستأجر — غالبا — شقة ويفرشها هو ، او يستأجر شاليه على البحر ويصيب عصفورين بحجر واحد ..

كل هذا الكلام ، للدلالة على ان الشقق المفروشة ، تبقى غالبا من نصيب السائح الذى يفضلها عادة على الفندق لانها اوفر ، ولان المسؤولين عن الفندق—عادة— لا يسمحون له بأن يستقبل « صديقته » .. الا اذا ما استأجر لها غرفة ثانية .

وهذه الشقق المفروشة لها تلفونات ولها بوابون وسلالم وابواب .. وآخر ما لها ، ان تأتي محترمة جريئة وتطرق باب المستأجر الكريم ، لتسأله عندما يفتح لها : « بدك شي » .. واذا لم يكن موجودا، او كان نائما ، تترك له اسمها ورقمها عند أسفل الباب ، او على راس البواب ..

كل ذلك وغير ذلك ، هو بعض البغاء البيروتي اليوم .

وفي كل يوم تكبر بيروت ، فيكبر دخلها ويزيد مصروفها .

وفي هذا الصدد ، يقول لك رجل لبناني معروف ومتحفظ ما حرفيته: «للاسف ، ومع اننى رب عائلة ، فان الطريقة والحل الوحيدين لانقاذ لبنان من وضعه الراهن ، هما مضاعفة عدد وعدة الشقق المفروشة ». قال ذلك في معرض حديثه عن ميزان المدفوعات اللبنانية .

والى كل ذلك فالنظام اللبناني منذ ٤٠ سنة لا يقول شيئا سوى ... ان القبلة «المرئية» ممنوعة سواء كانت بين عاشقين على الطريق او في سيارة او تحت شجرة .. او كانت بين زوجين في غرفتهما المفتوحة الستائر .. لان في ذلك «تعرضا للاداب العامة » .

« الاداب العامة » في القبلة الممنوعة في لبنان الحضاري المنفتح السمح ، الذي فيه كل مذاهب الدنيا ومعتقداتها واحزابها مرخصة ، والذي فيه مسرح واذاعة وسينما وتلفزيون ومحطة تلستار نشاهد عبرها القمر .

و ... كل ذلك، وبيروت تكتظ وتتضخم وستنفجر ذات مساء سبت .. و « ثورة البغاء » آتية .. قبل « الحل الجنسي » .

ثورة البغاء .. آتية . ولا اى تخطيط نظامى او تنظيم مخطط لحاضر ومستقبل هذه « القضية الكبرى » .. ولا حتى اى احصاء رسمى ولا اى فكرة مدروسة .

ولا اي رقم ، سوى : ان الموسمات المرخصات الباقيات في مطارح السعال والبيوت التى بلا أسماء .. نحو مئة وستين امراة ما زال يسرى عليهن وعلينا مفعول القانون الذى تقول اولى سطوره:

« ابتغاء مهنه كل امراه تشتهر بالاستسلام عادة الى الرجال لارتكاب (الفحشاء) في مقابل اجر من المال » :

والذي تقول آخر سطوره : « بيروت في ٦ شباط سنة ١٩٣١ الامضاء : شارل دباس » .

★

ما لنا وللخطابة .

الملف بعنوان « شارع المتنبي » ، حيث يغفو فيه كل مساء ما بقي من المومسات .

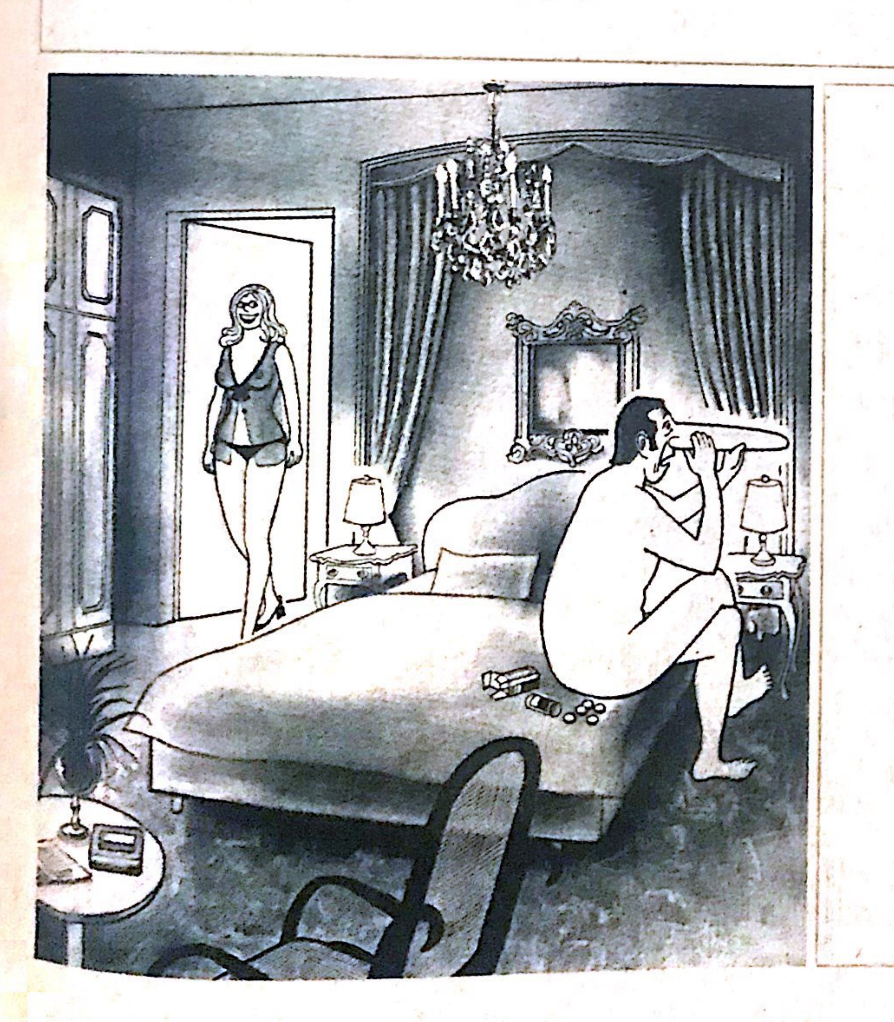
« المومسات ضروريات جدا . احترم عملهن ، اجتماعيا واخلاقيا ، اكثر من اي عمل تجاري . بما في ذلك بيع الاراضي المفرزة في الفردوس » . (جوزف صايغ — ملحق « النهار » الادبي)

والموسات جمع مومس .

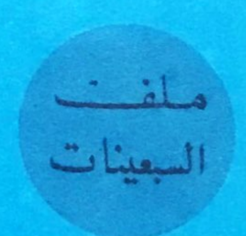
والمومس ، ليست مقطوعة من غابة ولا طالعة من ملفوفة ولا نازلة من السماء . قد تكون المومس — التي كانت طفلة بريئة من زمان — أما وشقيقة ، وقد تكون صديقة وحبيبة وعشيقة و ... امراة لا تكذب : اذا سألتها « من انت » ! تقول لك بصدق : « انا شرموطة ... يا خواجه » !

المصادر :

— الموسوعة البريطانية .
— الموسوعة الاميركية .
— الموسوعة الفرنسية .
— « حياة المومس في لبنان » ، الدكتور سمير خلف .
— « ايرما لادوس الباريسية » ، سمير عطاالله .
— « ارشيف الذكريات » ، ذو الفقار قبيسي .
— مركز الدراسات الفلسطينية .







الاخـــراج : انطوان عبده جاموس .

صمم الغلاف : ابرهيم عيد .

رقم الاصدار (١٢) آب ١٩٧١

صدر عن : النهار ــ دائرة الخدمات الصحافية

التوزيـــع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ش.م.ل.
بيروت ــ ص.ب : ٦٠٨٦ ــ ت : ٢٤٠٦٧٠